فاوانيا الجن

شيرين بونيل

فاوانيا الجن

رواية

الطبعة الأولى
إصدارات شغف2021
ردمك: 978-9931-878-10-0

الكاتب: شيرين بونيل
عنوان الكتاب: فاوانيا الجن
تصميم الغلاف: زكرياء رقاب
الإخراج الفني: أحمد الشافعي ملكي
تدقيق لغوي: شيماء طيباوي
المدير العام: عفاف دمان

الناشر: دار شغف للنشر والتوزيع
إيميل: shaghaf.publishing@gmail.com
فيسبوك: Shaghaf Edition
هاتف: 0540566081

حقوق النشر والتأليف © 2021 منشورات شغف - الجزائر
جميع الحقوق محفوظة © لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.
تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

عن شرّ البشر

في اليـوم الّـذي غادرتنِـي فيـه أيقنـتُ أنَّ حـبّ البـشر زائـل فهـم مخادعـون ولا يصلحـون للحـبّ. يطعنـون ولا يكترثـون بمشـاعر غيرهـم رغـم أنَّهـم يُعايشـون نفـسَ المشـاعر مَـعَ الآخريـن ولكـنّ غريـزة الـشرِّ فيهـم تكـبر بمجـرّد معرفـةِ أنَّ شـخصًا مـا وقـع في حبّهـم، مثلـك تمامًـا عندمـا أدركـت أنّنِـي وقعـت في شـباك حبِّـك الّتـي لطالَـما سـحبتنِي نحوهـا ثـمّ تركتنِـي وغـادرت.

اللّعنـة عليـك وعـلى حبّـك يـوم أخبرتنـي أنّ لا مـكان لِي بقلبـك وأنِّي لا أسـتحقّك، اسـتحقرتك بشـدَّة وأشـفقتُ عـليّ وعـلى وقتِـي الـذي أضعتُـه في حبَّـك. أَ تعلـم؟ أنَـا حقًّـا غبيَّـة حينـما وقعـتُ بحبّـك والآن سـأبقَى غبيّـة إلَى أن أُخرِجَـك مـن رأسِي، لم يكـن عليـكَ أذيَّتِـي بتلـك الطَّريقـة البَشـعة.

قابلـتُ أحمـد وأنَـا فِي سـنّ صغـيرة، أحببتـه بـكلِّ مـا أملـك، حفظـتُ تفاصيـلًا أقسِـم أنَّـه يجهلهـا فِي نفسـه ولم يكـن فيـه مـا يُعـاب، ذلـك مَـا كانـت تُبـصِره عينـايَ وأنَـا سـجينةُ حبِّـه، لم أشـكِّك يومًـا فِي مـدَى حبِّـي لـه. يومًـا مَـا وقـفَ أمَامِـي قائـلًا :

- هل لِي بدقيقَة مِن وقتك؟

أجبت:

- نعم .

أخـبرنِي أنَّـه يعلَـم بإعجَـابِي بِـه ولكنَّـه لَا يَعلـم أنّنِي كنـتُ متيَّمة بِـه لَا معجبـة وبالتّأكيـد وافقـتُ. معَـه أصبحَـت أيَّامـي كلّهَـا ورودًا،

لطَالما انتظرته كلّ صباح، في كلّ دقيقة وثانية. ليتَ مَا أعيشه معه لَا ينتَهي، إنِّي أبتسِم بينَ الحين والآخر بمجرَّد تذكّر ملامحه، أَ تُراني أنسَاها؟ إنّها محفورة في قلبي .

غادرتُ المكَان وفِي فمِي قنَاطير من الكلَام الّذي لم أُخرِجه إشفاقا علَى حالي، أحيَانًا يكون الصّمت أخفّ من التّبرير ويَحدث هذَا فقط عندمَا تَنطفِئ الرّوح.

في طريقي إلَى البيتِ صارت أحاديثَكَ وذكرياتَكَ تنهَال عليّ واحدةً تلو الأخرى، لم أعلم لماذا؟ ولكنّ كلّ مَا أعلَمه أنّنِي فِي حالة أقرف فيها منَ الحَال الّتِي وصلتُ إليهَا، لقد كرِهتُنِي. بدا الوقتُ طويلًا، مَا يُعادل قرنًا فِي عذابِ حبّك وحزنًا على فراقَكَ، حتّى الهَواء أصبَح ضعيفًا من حَولِي .لقد كنتُ أتنفّسك، لقد كانَ حزنِي شديدًا بقدرِ صدمتِي، العالم ورغمَ اتّساعه بدَا ضيّقًا من دونك وما أسوءه من ضيق، حتّى دقّاتُ قلبِي تؤلمني. كنت أودّ لو أنَّ لِي مهربًا فآوي إليه، لقد كانت أقصَى أحلَامي أُذُنْ تسمعنِي أو قلبٌ يفهمنِي ويتفهَّم حزنِي الشّديد، ما كنتُ أحتاجُ نصائحًا وأنا أغرق، كلّ مَا أردته يد تُخرجني من البَحر الذِي أنَا فيه ولكن لا جدوى، صِرت أمشِي في اتّجَاه أجهل نهايتَه. لا يهمّني إلى أين، كلّ ما يهمّني هو أن أغادر، لا أعلم إن كان في مغادرتِي ضعفٌ أم قوّة ولكنّني متيقِّنة من أنّها تحطِّمنِي.

ليتَني أُتقن المغَادرة دونَ الالتفَاف للورَاء ولعلَّ هذا سَيزيد من حبِّي للمغادرة، أنَا فقط لا أستطِيع التّحمُّل وأخيرًا مكان هادئ سيكون موطنًا لصرختي. لربّما كانَ أنين فؤادي مخيفا وأضحَى حلمِي صرخة تُفرغ كلَّ مَا بداخلِي تصف كلَّ التّناقضات.

أحيانا لا يستطيع الكَلام وصف كلِّ ما بداخلنا من حزن أو أنَّ الحزنَ قد بلغَ مبلغًا يفوق إبداع الكتابة ويهدم نبض القلَم. قد يراك النَّاس تتألَّم وقد تخترق أحاسيسك القَلب لتتسلّل إلَى الخَارج فتَظهر فِي تقاسيم وجهك ووسَط ضحكاتك العالية أو حتَّى بين كلماتك العفوية ولكن اطمئن، لن يُحسّ أحد. مَا أشدّ الحزنَ علَى قلبي، إنَّه ينهيني، رفقا بِي وبقلبِي الضّعيف فإنَّه يتأثَّر من أدنَى كلمة تخرج منكَ عبثًا فكيف لفراقك.

تلك التّراكمات الّتي تخفيها يومًا بعد يوم وفي كلِّ ثانية ستَخلق صرخَة، صرخة تكسر كلَّ حواجز الظلم وتقف فِي وجه تلك السّهام الّتي كانَت تُصوَّب نحوها. ليس عليّ تحمّل عبء البَشر، إنّهم أحقَر من أن أضحِّي بقلبِي من أجلهم ولا أحد منهم يستَحقّ ذلك. ضيق شديد وكأنّ قلبِي يُصارع روحِي من أجل الخروج فتأبَى، فيقسو عليهَا بحبِّ الشَّخص الخَطأ ثمَّ يَضَعها فِي زنزانة المَوت البطِيء ولعلّ من أسوء أنوَاع المَوت، الحبّ المَلعون، وقتئذ سيجتمع سوء العالم وجميله فِي قلب واحد وهو قلبي. صرخات بكلِّ ما أوتيت من قوَّة لعلِّيَ أخفِّف من حزني قليلًا، كجرعَة خفيفة للمضيّ قدما. دخلت غرفتي و كلِّي حزن بعدمَا كنتَ كلِّي، بكيت بكاء شديدًا ولكن لم أظنّ لوهلة أنّ يكون لِي سند فِي مثل هذا الوقت وكأنّ هنَاك حضنًا يُؤويني ويُنسِيني حزنِي، ارتفعت حرَارتي وتسَارعت نبضات قلبي، لقد أحسست بالأمَان الذي فقدته سلفا وغططت فِي نوم عميق بعدها.

لا أدري كيف مرّ ذلك اليوم اللّعين ولكن لا أريد تذكّره أو أيّ شيء بخصوصِه، أفقت على صوتِ أمِّي تناديني: «نور إنّه وقت المدرسة، انهضي قبل أن تتأخري، ذهبت للحمّام لأغسِل وجهي

وعندما رفعتُ رأسي كان هنَاك ظلّ ورائِي فِي المرآة وكانَ ضلًّا أسودًا. تجاهلت ذلكَ، شربت قهوتي وذهبتُ للمدرسة وهذا لقائِي الثَّاني بك يَا أحمد ولكن لم يدقّ قلبِي لأجلك كالمرَّات السَّابقة .

توجّهت للقسم بخطوات متثاقلَة وحين دخولي عاتبني الأستاذ لتأخّري .ما جعلنِي أغادر نحو مكَان هادئ إلَى أن تنتهي حصّته، أكلّم نفسِي تارة وأُهينها أخرى ولكنّني أحسست أنّني مراقبَة وقد كان إحساسًا مخيفا. بعد جلوسِي الهادئ واصلت ساعاتي الدّراسية المتبقّية وقرّرت الذّهاب مشيًا للبيت، يومئذ لم أشعر بأنّني أسير وحيدة وكنت ألتفت بينَ الحين و الآخر لأطمئن، لم يكن هنَاك أحد ولكن أحيانًا إحسَاس المرء لا يُخطئ فشعورِي بوجود أحدهم ورَائي محال أن يكون خيَالًا. سمعت صوتَ خطواته مرَارًا وهي ترتطم بالأرض ولكن لم أره.

عند وصولي للبيت دخلت لغرفتي واستلقيت على فراشي مغمضة عيني إلّا أنّي أحسست بيد تمرّر على شعري، قلت: «أمّي ما الذي أعددته للفطور؟ أمّي أمّي...» فتحتُ عيناي ولكن لا أحد، حتّى باب الغرفة مُقفل، أظنّني بدأتُ أهلوِس من هول الصدمة أو أرسم طريقًا لنفسِي نحو الجنون ولكن لا، فقد توالت مثل هذه الأحداث وصار شعور المراقبة لا يفارقني. أرى ظلالا ورائي دائما وعندما ألتفت لا أجد أحدا، يوما ما وأنا فِي طريقي للمنزل كنت أسعى لكشف سرّ الظل الذي ورائي فانزاحُ نحو اليمين واليسار لعلِّي أراه ولكن لا جدوى، بينما أنا مُنغمسة في محاولَاتي الفاشلة لم أسمع إنذار الشّاحنة ورَائي للحظات فقط، شعرت بيد قويَّة تَسحبني نحو الطّريق، سقطتُ ونزفتُ دمًا وقتها ولكن لم أشعر بألم شديد. ذهبتُ للبيتِ ولكنّ أمّي لم تتوقّف عن معاتبتِي، «ما

الـذي جـرَى لـك؟ أنـت تنزفـين» لم آبـه لَهـا وكلّ مَـا كنـت أفكّـر بـه هـو كيـف ومـاذا حصَـل لِي؟ لقـد كانَ حادثًـا غريبًـا وفريـدًا مـن نوعـه، مـن أنقـذني؟ و لمَـاذا؟ كيـف لم أره؟ أظـنّ أنّنـي بـدأتُ أفقـد عقـلي، أضحـى التّفكـير يـأكل رأسي شـيئًا فشـيئًا بـينَ الخـوفِ واللّـذّة، فأنَـا أكـذب إن قلـت أنّنـي أكـره عـدم استشـعاري للوحـدَة، حتّـى أننِـي أدمنـتُ حـسّ المراقبَـة، كان ذلـك يُشـعرني بأمَـان كبـير، يـزداد إعجَـابي بنفـسي في هـذه الأيّـام فأنَـا لا أقـوَى عـلَى مفارقَـة المـرآة خصوصًـا في منتصَـف الليـل .إنّ لِي بيتًـا جميـلًا أتـردّد عليـه بـينَ الحـين والآخـر، فقـط في ذلـك المـكان يـزداد شـعورِي بالأمَـان والرّاحـة التّامّـة، إنّـه هـادئ بطريقـة تجعلنِـي أسـتبعِد الرّحيـل عنـه .في صبـاح اليـوم التّـالي توجّهـت للقسـم ولكـنّ مَـا حـدث كانَ جنونيًّـا. تقدّمـت نحـو القسـم حيـث تواجـد حشـد كبـير مـن التّلاميـذ، إنّهـا جثَّـة، لقـد كانَ الأسـتاذ نفسـه الـذي أهانَنِـي يومًـا مَـا وعاتبنِـي لتأخّـرِي، كان مشـنوقًا ويُقـال أنّـه انتحـار، هنَـا بـدأ شـعور الخَـوف يـزدَاد ولكـن لا بـأس بـه مـادَام يُنسـيني شـعورِي بالوحـدة والحـزن.

صرتُ أسـتيقظ بكدمَـات على جسـدي، تختلف مناطـق تواجدها وألوَانهـا كلَّ صبـاح، أُمـضي يومـي مُراقبـة ولا أنـام إلَّا وإحسَـاس أحدهم بجانبـي يُلازمنِـي ودائمًـا مَـا يـتردّد حلـم أنّنـي أتـزوّج ويضـع العَريـس خاتمًـا بيـدي لكـن لا أراه. تعبـتُ مـن فضـولي حـول رؤيتـه، لطَالمـا رأيـتُ أشـيَاء غريبـة بـل وتـزداد غرابـة مَـع مـرور الوقـت. ذات يـوم وأنـا في طريقـي إلى المنـزل كنـت مرهقـة جـدًّا ومـن شـدّة التعـب أُغمـيَ عـليّ ولكـن سرعـان مـا فوجئـت بأحـد يناديـني :نـور نـور... أسـنَدني عـلى ظهـره وأوصلنـي للبيـت ولمّـا اطمـئَنَّ عـليّ ذهـب، صحيـح أنّنـي لم أرَ وجهـه ولكنَّنـي أُعجبـت بفعلِـه هـذا كثيـرًا، برجولتـه وموقفه

تجاهِـي وكأنّنـي أعرفـه منـذ وقـتٍ طويـل.

استلقيت عـلى سريـري أفكِّـر فيـه، في مـا يمكـن أن يَخلـق أمـلا لجمعنـا أو أن نلتقِـي يومًـا مـا فِي ذلـك المـكان الهـادئ، يومـا بعـد يـوم زال خـوفي وأحببـتُ جميـع أحاسـيسِي، لم تعـد مُخيفـة أو غريبـة وكلّ مـا أريـده الآن أن تكـون بجانبـي واللّعنـة عـلَى مَـا يُسـمَّى بالظّـروف. في ذلـك اليـوم كنـت عـلى فـراشي مسـتلقية أتهيَّـأ للنّـوم وإذا بنبضـات قلبِـي تـزداد وارتفعـت حـرارة جسـمي، أحسسـتُ بيـد تُداعـب شـعري إلى أن تسـلّلت لوجهِـي تلمسـه، فتحـتُ عينـاي ومـا رأيتـه كان أشـبَه بالخيـال، لقـد كان وجهًـا ناصـع البيـاض ذو شـعر أسـود داكـن وملامـحَ حـادّة جـدًّا، أمّـا عـن العينَـين فالوصـف قليـل فيهـمَا، كانتَـا سـوداوتين سـوادًا قاتمًـا، حادّتـان جـدًّا وذواتَـا رمـوش كثيفَـة وحاجبَـان خفيفـان، كل التّفاصيـل جميلـة، أتمنَّـى لـو لا تَـزول هـذه اللّحظـات ولبقيـتُ حيـاتِي كلّهـا أمامـك أراك وتفـوق رؤيتـي بـاب قلبـك، بصـوت خافـت قـال: «لا تخـافِي أنـا بجانبـك»، لقـد كانَ نفـس الصّـوت الـذِي نـادَاني آخـر مـرّة ومـا أجمـل اسـمي عـلَى لسـانه، نفـس الرّائحـة التِـي انبعثت يومًـا مَـا مـن حضنـك يـوم إنقـاذي. لم أقـوَى عـلى الـردِّ مـن هـول الصّدمـة ونمـتُ نومًـا عميقًـا إلى أن حـلّ الصّبـاح، نهضـت في حالـةٍ هسـتيرية أبحـث هنـا وهنـاك عنـه ولكـن لا جـدوى، لا أثَـر لـه. ككُلِّ يـوم ذهبـتُ لمدرسـتِي أستشـعر حضـوره وبينَـما أنـا جالسـة وإذا بيـدٍ تُلامـس يَـدي، قلـت:

- بحثتُ عنكَ في كلِّ مكان أينَ كنت؟
- كنتُ وسأضّل معكِ إلى الأبد يَا نور.
- من تكون وكيف تعرف اسمي؟

- كيـف لِي أن لا أعـرف وأنـتِ مـن أريـد أن أعـرف عنهـا كل شيء؟

- ما اسمك؟

- أُدعَى مازر، أراقبك منذ وقتٍ طويل و أنا...

- أجـل و لَا مانـع لـديّ إطلاقـا، أنـا أشـعر بالأمـان بمراقبتـك، لا تغـادر وتجعلنـي أقلـق عليـكَ مـرّة أخـرى.

- أنا معك وسأبقَى معك دائمًا.

كلماته تبعث فيَّ الروح، فجأة سمعت صديقتي تناديني:

- نور تعالي.

- أنا مشغولة.

- مـاذا تفعلـين؟ مـع مـن تتحدّثـين؟ مـا بـك؟ هـل تتحدّثـين مـع نفسـك؟ أَ أنـت بخـير؟ أنـا أسـألك يـا نـور هـل أنـت بخـير؟

- أنا بخير ولكن...

التفت فلم أجد مازر، صرخت في وجهها:

- لا تتدخّلي في ما لا يعنيك.

صرتُ أعَاتبهـا بشـدّة، لقـد حرمتنِـي منـه بينـما كنـت أتلهَّـف شـوقًا لرؤيتـه. سرت نحـو البيـت أترقّـب الظـلّ ورائي ومـا إن رأيتـه حتَّـى ارتحـت وهـدأ لِي بـال، أكملـتُ مـا تبقَّـى مـن يومـي وخلـدتُ إلَى النّـوم، سـمعتُ صوتًـا يُناديـنـي:

- نور نور، هل نمتِ؟

- لا، أنا أنتظرك وها قد أتيت.

- كيف حالك؟

- بخير ما دمت معي.

- لنتّفق على شيء، ما دمتُ معك لن تحتَاجي لشخصٍ آخر ولكنني قد أفارقك بين الحين والآخر.

- لكن لماذا؟

- ستفهمين يومًا مَا.

- كما تريد، فقط لا تذهب.

- أعود بين الحين والآخر لمنزلِي وإن كنتِ تريدين رؤيتِي يمكنكِ استدعائي.

- كيف ذلك؟

- اصعدي لسطحِ المنزل وأحضري مرآةً وبضع شموع والقليل من الدّم، أي دمك أنت وانتظرينِي فِي هدوء تامّ فأنا لا أحبُّ الضّجيج ولا حتَّى وجود عدد كبير من البشر، نادِ عليّ باسمي وسأحضر.

أنا شيطَانك الأبديّ، أنا ظلّك الذي لا يختَفِي وقرينك الذي لا يفارقك. أنا معك في كلِّ مكان، أنبذك وأقتلك عذابًا بحُبِّي أنا أجرِي في دمك وعروقك، أنا في كلِّ نفس تتنفسينه، اطمئني أنا لن أرحمَك أبدًا.

في قانون المرَدة لا شيء يساوي العظمة، لقد حرص أبي على تعليمي كلّ ما قد يستلزم معرفته على كوني ماردا، لا شيء يضاهي القوّة والكلّ هنَا فِي عالمِي يسعَى من أجل السّلطة والقوّة، من يمتلكها لا يُعجزه شيء ويصبح قادرًا على القيام بالعديد ممّا يجهله باقي المردة فيتحكّم فيهم كيف يشاء هو وهذا ما كان يسعى إليه أبي ولكنّ كبير المردة آنذاك قام بغدره، في الوقت الذي حصل فيه أبي على الروح وهو في طريق العودة للحصول على عرش السّلطة اعترضه أخ له وقتله وسلبه الروح، لقد خرق قوانين

السّـلطة .في القانـون الملـكي تُنجـب الملكـة تسـعَة مـردة ويسـعى كلّ مـارد منهـم لإثبـات قوّتـه ليحظَـى بالمُلـك ومَـا إن يقـع خيـار السّـلطة عليـه يمتـصّ قـوى باقـي إخوتـه ويسـتعبدهم، في كلّ مـرّة يكـبر فيهـا المـردة يُرسَـلون إلى أرضِ المـوت، هنـاك حيـث يتصارعـون مـن أجـل الحصـول عـلى القـوّة. إنّ القـوّة تَكمـن في مـدى قدرتهـم عـلى السّـيطرة عـلَى عـالم الجـنّ وكل مـارد يجلـب أكـبر قـدر مـن أرواح البـشر تكـن لـه السّـلطة التّامـة. عـلى مـدار أَلفـيْ عـام لم يسـتطع أي جنـيّ جلـب أرواح البَـشر لـذا فـإنَّ المهمّـة اسـتصعبت عـلى أبي وإخوتـه في ذلـك الوقـت، يومًـا مـا كان الحـظّ حليـف أبي إذ أنّـه حصـل عـلَى روح و لعلّهـا مـن أجمـل الفـرص الّتـي قـد تواجـه جنِّيـا، إنّهـا روح رضيـع، روح نقيّـة خاليـة مـن عيـوب البـشر وشرهـم ومـن يحظـى بهـذه الّـروح يمكنـه كسـب الخلـود في السـلطة ولكـن مـا إن علـم أخ لـه بذلـك قتلـه وسـلبه الـرّوح وبهـذا صـار الملـك الخالـد عـلى عـرش سـلطنة المـردة، صـارت قوّتـه تتجـدّد في كل عـام إلى أن أصبـح لـه بنـين وبنـات ولكـن لا يلبثـون سـوى أعـوام قليلـة ثـمّ يمـوتـون وكلـما تـزوّج و أنجـب أطفـالا وماتـوا يقتُـل أمّهـم ليتـزوّج أخـرى إلى أن عاشـت ابنـة لـه، مـرّت أعـوام كثـيرة و لم تمـت، كلّـما مـرّ عـام زاد خـوف الأب مـن مـوت ابنتـه يومًـا ولهـذا ضحَّـى بـكلِّ مـا يملـك مـن قـوَّة لضـمَان عيـش ابنتـه. التقيـت الأمـيرة وأنـا في عمـر الخمـس مئـة سـنة، لقـد كانـت في غايـة الجـمال والقـوّة، حاولـتُ التّقـرب منهـا بـكلِّ مـا أملـك مـن حيلـة، جعلـتُ لقاءنـا الأوّل أشـبه بالصّدفـة حـين سـحبتها إلى النّهـر المشـؤوم وهنـاك التقينَـا :

- مرحبا أنا مازر.

نظرت إليّ نظرة قلق بعد أن قالت :

- أ أنت بخير ؟

- قريبا ولكن لا تقلقِي هو مجرّد جرح وسيُشفى.

وقتها كنت ملقى علَى شجرة ممسكا بيدي وهي تنزف، قالت :

- هات أضمّده لك.

أخذت تُداوي جراحي وهي تسأل:

- ما الذي حدث؟ ماذا جرى لك؟

- كنت أصطاد في الغابة الزّرقاء.

- م م ماذا؟ الغابة الزرقاء؟

- أجل إنّه عمل يوميٌّ بالنّسبة لِي.

- منذ متَى وأنت تزور الغابة الزرقاء؟

- منذأن كنت صغيراً، أنا مولع بها بحقّ ولكن كمَا ترين، لم يكن الحظّ حليفي اليوم فقد أُصِبت.

- لا عليك، فقط أخبرني من فعل بك هذا.

- لم أره.

- لا بأس، مارد شجاع مثلك لا يجوز أن تذهب قطرات دمه هبَاء.

- لكنّني مارد عادي وليس لِي قوّة كقوَّتك.

- ما الحاجة إلى القوّة ما دمتَ لا تملك الشّجاعة؟

- كيف؟

- أعيش تحت قيود أبي، تحت قوانين صارمة، لا أستمتع بحياتي ولو للحظة، كلّ ما يريده أبي أن أكون الماردة الأولى في تاريخ السلطنة، أَن لا أخطئ أبدًا وأن أملك العظمة لرسم مسار آخر لتاريخ سلطة أبي. كم هو صعب عليَّ أن أعيش مقيّدة أفقد لذّة

الحريـة.

صمَتت لبرهة ثم قالت:

- ترى أ يمكنك اصطحابي للغابة الزرقاء؟

أومأت برأسِي قبولا، قالت :

- إذا غدا في هذا المكان بالضّبط نلتقي.

- هل تدركين مدَى خطورة ذهابك في هذا الوقت.

- كلّ ما أريده حريّتي، حرّيّتي وفقط.

لا يمكـن للسّـلاطين دخـول الغابـة الزّرقـاء فهـي مـكان مخصّـص للمـردة العاديـين مـن أجـل تنميـة مهارَاتهـم و اختبـار شـجاعتهم حيـث يتـمّ تكوينهـم لاتقـان كافَّـة مهـام الجـنّ كالطّـيران والغـوص ومـا إلى ذلـك ولكـن في حـال دخـول أيّ سـلطان يفقـد كلّ قـواه ويصـير ماردًا ذو قـدرات محـدودة وهـذا بالضّبـط مَـا كنـتُ أسـعَى إليـه. في البدايـة ظننـتُ الأمـر صعبًـا، اسـتدراج أمـيرة إلى الغابَـة الزّرقـاء أمـر أشـبه بالمسـتحيل ولكنّـه حـدث معِـي، انتظـرت الوقـت بفـارغ الصّـبر إلى أن حـانَ وقـت لقَاءنَـا، ذهبنـا باتّجـاه الغابـة نتبَـادل أطـراف الحديـث وفهمـتُ مـن الأمـيرة أنَّ لعنَـة قانـون المـرَدة حلَّـت عـلى أبيهـا فهـو قـد أخـذ السّـلطة بأمـر يُنـافي القوانـين أَلَا وهـو قتـل أخيـه بالـدّم لـذَا فلـم يكـن لـه ولـد عـدَا هـذه الأمـيرة وبعـد لحظـات سـتغادر هـي أيضـا. إمَّـا أن يَمـوت الأب نتيجَـة فقـدان البنـت قوّتهـا أو أن تمـوت البنـت. مـوت البنـت لا يخـدم مصالحـي، في حـال موتهـا يهتـز عـرش السّـلطة وتنعـدم إمكانيـة وصـولِي للعـرش فِي النّهايـة، أنـا المـارد الوحيـد الـذي يحمـل دم الملـوك في هـذا الوقـت غـير أنّنـي أحتـاج القـوّة لأصـل إلَى مبتغـاي، لـذا حرصـت عـلى أن تفقـد البنـت قوّتهـا دون موتهـا. اقترحت زواجـي بهـا وعـن طريـق هـذا سيتسـنَّى لِي كسـب القـوَّة مـن خـلال

الأطفال، حيث يجب عليّ أخذهم لمكان بعيد عن المردة وحينَما يكبرون يُكسِبونَني القوَّة لأنَّهم يحمِلون دم السلطة. عملت جاهدا على كسب حبِّ الأميرة إلى أن تزوّجتها وصار لِي ثلاثة أطفال. بعد ذلك أخفيتهم فِي مكان بعيد ووقت دخولنا للغابة فقدَت قوَّتها ومات الملك نتيجة فقدان البنت قوّتها.

أخذ المردة يبحثون عن الأميرة فِي كلِّ مكان من أجل تطبيق العقوبة عليها، عقوبة مخالفة قوانين السّلطة ودخولِها الغابَة الزّرقاء ما كان عليّ تركها في الغابة لأنّني أحتاجها من أجل أولادي، قمت بتهريبها مع الأطفال وعدت للمملكة. كشفت عن علامة الدّم الملكي وبهذا طُلب منِّي وسام القوّة ل(أولادي الثّلاثة(ولهذا ذهبتُ لجلبِهم وما إن وصلتُ وجدتهم ماتُوا. أولَادي ووسام قوّتي ذهبوا بسبب تهوّر إنسية. لم أعرف إن كان عليَّ الحزن لأنّني فقدت عائلتي أو أنّني فقدت فرصتِي في الحصول على السّلطة أو كلاهما، ماتت الأميرة بعدهَا بأيَّام لأنّها لم تقوى على فراق صغارها وصرت أنا في متاهة كبيرة. الآن وبعد أن فقدت العائلة عليَّ النظر إلى السّلطة. من المستحيل أن أرى بأنِّي سأعيش ماردًا عاديا يصارع كلَّ حياته وهو في غياهب الغابة الزّرقاء والأسوء من كلِّ هذا أنّني أملك دم السّلطة، بعد تفكير مُطوَّل قرَّرت خوض مغامرةٍ من نوع آخر «الخوض في عالم البشر «لقد كانت مخاطرة كبيرة، على المردة ألَّا يختلطوا بالبشر إطلاقا فأيّ غلطة تجعل المارد يعلَق في عالم البشر إلى الأبد وهذا بالنّسبة له عذاب كبير، حيث أنَّ للبشر شرّ كبير يفوق قوّة المردة فهم يَخرقون شتَّى أنواع القوانين، إمَّا من الجانب الآخر فأيّما مارد سافر إلى عالم البَشر إلّا ورجع مُحضِرا أرواحًا بشرية فهو بالتّأكيد سيحصل على عظمة

كبيرة وهذا ما كنت أسعى إليه، ذهبتُ إلى المملكة وطلبت مهلة ثلاثة أيام ما يعادل سنتين في عالم البشر، حصلت عليها بشرط ألَّا أفرِط في استعمال قوَّة المردة هناك وذهبت لكي آخذ انتقامي وأستعيد سلطتي من تلك الإنسية «نور».

لطالما حكى لي أبي عن عالم البشر كونه يُعدّ عالمًا صعبا و مظلما بالنّسبة للمردة، حيث تكمن فيه اختلافات كبيرة في المشاعر، سلبية كانت أو إيجابية وأولها الحب، فهو شعور مُدمِّر للإنسان ويُمَكّن الطّرف الآخر الغير متضرّر من التّحكم بشريكه حيث يصبح المحبُّ بدون عقل ويتصرّف بما يهواه قلبه فقط ولو كان طريق قلبه هلاكا، إنّه لا يأبه لذلك إطلاقا. كان هذا أقوى شعور يُسيطر على عقول وقلوب البشر بصفة كبيرة عكس عالم الجنِّ.

أخيرا غادرت عالمِي إلَى الضفّة الأخرى في مغامرة أجهل نهايتَها و أعلم كلَّ مخاطرِها وكلّ ما أنا راضٍ عنه هو أنّني ليس لديَّ ما أخسره أبدًا، لا عائلة ولا أيّ شيء آخر، بل إنّي أسعَى لكسب كل هذا العرش وانتقام أبي ويوما مَا سأغيّر قوانين السلطة للأسوء، سأسنُّ قوانينا جديدة وأما عن مخالفِي هذه القوانين أمثال عمي فسيخضعون للعقاب الأنسب لهم. المجد والخلود لعظمة المردة، مملكة المردة ستُصبح أقوى الممالك في عالم الجنّ الأخرى.

نمت يومهَا علَى أمَل أن ألقاه غدًا واستيقظت علَى صراخ أمي:

- نور نور انهضي، أنا ذاهبة، لا تنسي أن تنهي بَاقي الأشغال وعندما يصير منتصف النّهار اذهبي لجلبِ ابن أخيك من المدرسة، لقد أخبرتُ معلّمته ألّا تسلّمَه لشخصٍ غيرك، سأعود فِي المساء.

- أين أبي؟

قالت أمي وهي في عجلة للخروج:

- ذهب للعمل ولا أحد في البيت، أنا ذاهبة، إلى اللقاء.

قلت في نفسي «لا يوجد أحد فِي البيت، ذهب الكل وأخيرا سألتقِي مازر مرّة أخرى، صعدت للسّطح و جلبت المرآة والشّموع وكالعادة القليل من الدّم، جلست أنتظر مازر في هدوء تام».

- مازر مازر أنا هنا ولا أحد في المنزل، يمكننَا التّحدث بكلِّ راحة.

- نور لقد أتيت.

- هل لا زلت تأبين مفارقتي؟

- إلَى الممات يا مازر.

- لكن لماذا؟ لماذا لا ترضين مفارقتي؟

- مازر أنت لا تعلم عن إحسَاسي بقربك، فرحتِي بمجيئك واشتياقي لكَ في كلِّ لحظة، باختصار لقد أدمنتك. إذًا أخبرني عنك، عمّ إذَا كنَّا سنكون معًا يومًا مَا، فأنَا أريد العيشَ معك. مازر مازر، أين أنت؟

لم يردّ مازر عليّ وحتى أنّني لم أستشعر وجوده، لقد غادر. غادر فجأة ممّ جعلني أشكّ في ما قلته له، حزنت حزنًا شديدًا و بكيت متوسّلة له :

- لا أعلم إن قلت شيئا خاطئا لك ولا أعلم سبب مغادرتك فجأة ولكنّني أشتاق لك. ما كان عليك فعل هذا يا مازر، لم يكن عليكَ مغادرتي بهذه السّرعة وأنا لم أشبع من كلامنا ولا من قربنا يا مازر، أين أنت أرجوك؟ ردّ عليّ.

لم يـرد عـليّ رغـم كلِّ محـاولاتي، لا أمل.أكملـتُ يومِـي وأنَـا أتوسّـل لـه، تمُّـر السّـاعات ويسـدِل الليـل سـتائره. خلـدت إلى سريـري، اسـتلقيت وعانقـت وسـادتي وبكيـت:

- أيـن أنـت؟ أنـا حقًّـا آسـفة، فقـط عـد.لا تتركنـي بمفـردي أرجـوك.

بصوت خافتٍ ردّ :

- لم تخطئِي في شيء ولكن كان عليَّ الذّهاب.

- لماذا ؟

- أحتاج أكلًا.

- أَ أطعمك؟

- لن تستطيعي.

- لا يهـم، إنّـك مَعِـي الآن. أرجـوك لا تغـادر مـرّة أخـرى بهـذه الطّريقـة، لا تجعلنِـي أقلـق عليـكَ يـا مـازر، فوالله لـو علمـت مـدى حبِّـي لـك لمـا فارقتنـي للحظَـة واحـدة. في كلِّ مـرَّة كنـت أشـتاق لـك، في كلِّ لحظـة أفقـد فيهـا شـعور الـلَّا مراقبَـة يتملَّكنِـي خـوف كبـير مـن فقدانـك يومـا مـا، يومًـا بعـد يومـا يـزدَاد حبِّـي لـك.

كنـت جالسـة لوحـدي في فنـاء المدرسـة أنتظـر مـازر و إذا بِي ألمـح شـخصا قادمًـا مـن بعيـد لقـد كان أحمـد؟ تقـدّم قائـلا:

- كيف الحال؟

- بخير وأنت؟

- بخير، شكرا.

- أ يمكنك إعَارتِي بعض الكتب؟

- و لم لا؟ تفضّل.

وقف للحظات ثم قال:

- أ لا زلت غاضبة منِّي؟
- لا، لا عليك، انسَ كلّ ما مضى.
- هل معنى هذا أنّنا سنبقَى أصدقاء؟
- نعم.

بعد ذلك انتظرت مازر مطوّلا ولكنّه لم يحضر إلى أن حان وقت الرحيل. ذهبتُ للبيت مشيًا بعد أن فاتني موعد الحافلة وفي طريقي لم أرى ظلي، لم يكن مازر برفقتي ولم يَحضر فِي موعدنا ككلِّ يوم، ما الذِي حدث؟ أ يعقل أنَّه لم يجد غذاء؟ أم ماذا؟ عند وصولي للمنزل صعدتُ لغرفتي وحين دخولي أُغلِقَ باب الغرفة بقوَّة وتساقطت الأغراض من على الطاولة، فجأة قال مازر :

- لماذا تحدَّثتِ معه؟ هل لا زلت تحبِّينه؟ بل و تعتبرينه صديقا أيضًا، أَ ليس هو من آذاكِ في يوم من الأيَّام؟ أظنّ أنَّه هو نفسه من هانت عليه دموعك وكسرك ولكن بكلِّ فرح و سرور تحدّثتِ معه و بهذَا فإنَّك لم تنسَيه ولا زَال حبّه ينبض فِي قلبك.

- لا، أقسم أنّني لم أعد أحبّك،إنّك لتعلم أنِّي أحبّك أنت فقط .كلّ ما فِي الأمر أنَّه احتاجني .

- قد احتجْتِه يوما و لم تجديه، كنت أنا يومها إن كنت تتذكّرين هذا يا نور، أظنّ أنّك لم تعودِي بحاجتي بعد الآن.

- لا، الأمر ليس كذلك يا مازر، كلّ ما في الأمر أنّني ...

- مازر مازر ...

ذهب مازر ومن يومها لم أره، لا ظل له. لقد ذهبَ غاضبا منِّي ما يزيد من لهيب نَار الشّوق بقَلبي.

شعوري بالوحدة يزداد ونار الشّوق تُحرقني، أنا لا أقوى على العيش بدونه. هذا ثامن يوم بدون مازر، أنا أردّد اسمه

في كلِّ زمـان ومـكان ولا أمـلّ، كلّ يـوم أصعـد فيـه للسّـطح لا المرايـا ولا الشّـموع عـادت تفيـدني وحتّـى دمـي لم يعـد ينفـع في كلِّ وقـت، منتصـف الليـل و منتصـف النّهـار والثّالثـة فجـرا، لم يعـد ينفـع في أيّ وقـت أو أيّ شيء آخـر، أمـوت مـن شـدّة الخـوف وهـو سـيتفاقم. بعـد أن نفـذت نـداءاتِي جبـت الشّـوارع أبحـث عـن سـاحرة تُعينـني عـلَى حـلِّ مشـكلتِي وبعـد عنـاء طويـل وجدتهـا. كنـت أمـشي باتّجـاه لا أعـرف نهايتـه، حينئـذ ظهـر أمامـي عجـوز طاعـن في السـنِّ فأوقفنـي قائـلا :

- تبدين تائهة يا بُنيّتي، عمّن تبحثين؟

- أبحث عن إحداهنّ، إنّها السّاحرة لكي تأخذني لمازر.

- هنـاك في آخـر الطّريـق تجديـن بابًـا صغـيرا، دُقِّـي عليـه ثـلاث مـرَّات وقـولِي جئتـك مـن العـالم الاخـر ولا تنـسي لأيِّ هـدف ذهبـتِ.

التفتـتُ لأرى الطّريـق وعندمـا أدرتُ رأسِي لأشـكره لم أجـده، لقـد اختفـى بسرعـة. أمضيـتُ الطّريـق إلَى وِجهتـي إلى أن وصلـت و إذا بصـوت يقـول :

- من أين جئت؟

- جئتك من العالم الآخر.

فُتِـحَ البـاب ولم أعـرف مصـدر الصّـوت فحـين دخـولي لم يكـن هنـاك أحـد أمـام البـاب. كان الممـر ضيّقـا وبالـكاد يكفـي لمرور شـخص واحـد فقـط، مظلـم وتنبعـث منـه روائـح جـدّ كريهـة، مـكان يبعـث الاختنـاق وعـدم الرّاحـة، جـرذان وزواحـف هنَـا وهنـاك. أمضيـتُ سـيري إلَى أن بلغـتُ نهايـة الممـر، رفعـتُ السّـتار فـإذا بعجـوزٍ تجلـس وسـط القـذارة، نظـرت إليَّ نظـرة اسـتحقار بعينيهـا المخيفتـين ثـمّ قالـت :

- إجلسي.
- لا، أنا على عجلة من أمري.
- لن تنالي مبتغاك بالعجلة، فحتّى مازر لا يرضى بهذا.
- أريد مازر.
- أعرف وستجدينه.
- ولكن كيف؟
- عليك بالشّجاعة وإلا لا ترجعي إليّ، ها قد حذرتك.
- ما كنت أتيت إليك لو أن لي ذرّة خوف.
- هل أنت واثقة ممّا ستقدّمينه لأجل مازر؟
- إن شئتِ أعطيكِ روحي بُغية رؤية مازر.
- إذن عليك بجلب أحمد لحمًا ودمًا.
- ماذا؟
- أين شجاعتك التِي كانت قبل قليل؟

خرجت مصدومة من طلبها، لقد كان طلبًا غريبا وقلتُ في نفسي: «ولمَ أحمد؟ أَ يعقل أنّ مازر يريد الانتقام منه عن طريقي أم ماذا؟ «أخذت أفكّر في ما سأفعله لساعات طويلة بين الحيرة والخوف، لم تمرّ أربعة عشر ساعة إلى أن غلبت قوّة الشّوق علَى خوفِي وقضت على حيرتِي في صباح اليوم التّالي وبينما كان أحمد ينتظر حصّته القادمة توجهتُ نحوه و قلت :

- مرحبًا أحمد كيف حالك؟ ..
- بخير يا نور ولكنّك لا تبدين كذلك، لا تبدين بخير إطلاقا.
- أريدك في موضوع مهم، هلّا رافقتني لمكان هادئ.
- نعم.

أدعى أحمد، فتى في منتهى الطّيش، التحقت بهذه الثانوية التي أنا فيها الآن بعد المشاكل التي وقعت في بيتنا، حين قرّر أبي تغيير البلدة لذا انتقلنا لبلدة أخرى. بدا الأمر رائعا في بداية الأمر وبعد أن أنهينَا تجهيزات البيت الجديد خلدتُ إلَى النّوم في فراشي الجديد لأبدأ غدا في يوم جديد في بلدة لا أعرف عنها شيئا سوى أن أبي لم يحتمل صراعات أمِّي وثرثرتها الكبيرة في كلِّ يوم .أذكر هذَا منذ أن كنت صغيرا ،فلا أمي تهدأ وتتغاضى ولا حتّى أبي. كانت أمّي من النّوع الذي يستمع لحديث النّاس كثيرا، كان ذلك بمثابة دمار لَها فهي تسعَى لإرضاء النّاس بشتَّى الطرق. في كل صباح أنهض فيه للذّهاب إلَى المدرسة تقوم أمي لتُجهِزني فتلبِسني ملابسي وهي تقول :»عليك أن تكون أنيقا دومًا لكي لا يقول النّاس أنّ لك أمًّا ذات ذوق رديء أو أنّه ليس لك ملابس لتلبسها». أذكر يومًا استيقظت فيه متعبًا وترّجيتها لكي لا أذهب إلى المدرسة ولكنَّها ردّت وهي تصرخ: «ماذا سيقول النّاس؟ هل سيقولون أنّي تركت ابنًا في سنّ العاشرة يُملِي عليَّ ما أفعل ثمَّ إنَّك ستُهمل دروسَك ولن تتفوّق، لا أريد أن يأخذ منك ابن الجارَة المرتبة الأولى فِي الصف». نهضتُ لأغسل وجهي ثم أتناول فطوري و لكن بعد أن ضاع مني الكثير من الوقت في الفراش كدت أتأخّر ولعلّ هذا من أسوء ما قد يزعج أمِّي، يومها أمسكتني من يدي بقوّة كبيرة كادت تكسرها وأنا أنظر بلهفة شديدة نحو قطعة الشكولاطة المتبقية، قلت و أنا انظر إليها نظرة انكسار :

- لم أُنهِ فطوري يا أمي.

ردت في غضب:

- لقد فاتك وقت طويل يا أحمد، أضعته وأنت في الفراش

تتذمر، دعني أُكمل تلبيسك بسرعة، احمل محفظتك ودعنا نذهب قبل أن تتأخّر، لقد نسيت إحضار النّقود لجلب بعض الخبز في طريقي إلَى البيت.

ما إن التفتت أمِّي، حتّى أسرعت نحو القطعة المتبقيّة وأكلتها بسرعة ولسوء حظِّي وقع البعض منها على الزيّ الرّسمي لمدرستِي وأحدثَ بقعة كبيرةً ولم يتبقَّ على موعد المدرسة بضع دقائق، ها قد جاءت أمِّي ورأتنِي و أنا في تلكَ الحالَة صارت تصرخ بشدّة وضربتنِي بقوّة على وجهي ثمَّ جلست وهي لا زالت تصرخ في حالة هستيرية «ما الذي سأفعله الآن؟ لماذا الآن يا أحمد؟ سيضيع يومك ويضيع درسك؟ أَ لهذه الدّرجة لم تقدر على التّفريط في قطعة شوكولاطة»، لقد كنت صامتًا والدموع تنزل من عيني وكلّما تفاقمَت حالة أمي من صراخ أسرع لغرفَتي وأجلس في الرّكن الحزين، هناك حيث اجتمعت أحزَاني. إنِّي أهرب من أقرب النّاس لي، من أمِّي التي لطالما كانت مهربِي الوحيد. أجلس في ركنِي وأبكي، أنتظر حضور أمِّي لكي تمسح دموعي وتقول :»أنت بطل والأبطال لا يبكون» ولكنّها لم تفعل هذه المرّة، لم تأتِ لتمسَح دموعي. لقد زادت أحزاني كلّما استشعرت البعد الذي يكبر بيننا ويتّسع شيئا فشيئًا، لماذا يا أمِّي تخذلينني؟ أنتِ من علّمني الأمان و لكنّك الآن تسحبينه منِّي وككلِّ يوم أبكي بكاءً شديدًا إلى أن أغفو.

أكبر يومًا بعد يوم بين صراخ أمي وأبي الذي لا ينتهي، بتُّ أجهل طعم الطّمأنينة والهدوء، قلت :

- أمِّي أود أن أخرج للعب مع أطفال الحيِّ، هل تسمحين لي بذلك؟

- مستحيل سوف تتّسخ ملابسك؟
- سأحرص على ألا يحدث ذلك.
لكنها كانت مصرة على قرارها :
- لا تعني لا، اذهب وأكمل واجباتك.
- لكنّني أنهيتها يا أمّي.
- لا يهمّني يا أحمد، اجتهد اكثر. اقرأ كتابا، حلّ ألغازًا، لن يُفيدك اللعب .لا أريد أن يقول النّاس عنّي «أمّ مهملة لا تهتمّ بولدها .»

تسلّلت واضعا يداي على أذنيّ أتفادى صراخها واتجهت نحو غرفتي .لا يوجد شيء يمكنني القيام به الآن .وقفت على حافّة النّافذة أراقب الأطفال وهم يلعبونَ وقلت مخاطبًا نفسِي :»ليتَ لي أمًّا مثل أمّهاتهم» .أشتاق للعب خارج المنزل كوني نادرا ما أخرج منه فأذهب مع أبي للتّسوق أو لقضَاء مهمّة أخرى، أمّا عن اللعب فإنّنا نلعب الكرة حين لا يكون لأبِي عمل، يا لطفولتي وسوئها، لقد كبرت على هذه الحال.

ذات يوم مرضت مرضًا شديدًا ممّا جعل أبي يأخذني للعديد من الأطبّاء من أجل المعاينة وفي كل مرة يأمرني الطّبيب بعدّة فحوصات ولكن وبعد إجرائها النّتيجة واحدة ولا تتغير .كلّ الفحوصات سليمة مما أثار قلق أبي وأمّا أمّي فكل ما شغل بالها كوني لا أدرس ولا أذهب للمدرسة بين الحين والآخر. يكاد جسمي لا ينفصل عن الحمى وكلّما أخبرت أبي أنّ لي عرشا أحكمه، يعرض عن سماعِي بل وإنّه لا يستمع إليّ وإلَى أحاديثي، إنّه لا يُعيرني انتباهًا غير أنّه يحبّني كثيرا ويهتم بي خصوصًا في فترة مرضي. ذات يوم اقترح أبي أن نذهب لطبيب نفسي فذهبنا وفي الطريق صار أبي

يحدّثني عن ما إن كنت أدّعي المرض قلت:

- أ هذا هو رأي أمّي في الموضوع؟

- لا يا بنيّ، محال أن نتّهمك بالكذب خصوصًا وأنّك صادق جدًّا.

- أجل أنا لا أعلم إن كنت ستصدقني أو لا ولكنّني أعلم أنّني لا أكذب، إنّ لي أمرا ما يمكن ألّا يكون مرضا.

- إذن عليك أن تخبر الطبيب بكلِّ شيء يا بني وتذكّر ــن تكون صادقا، كلّ شيء مبنيٌّ على الصّدق يدوم وإن كانَ مرًّا.

حقيقة لم يصدق أبي حتَّى في وصفه للصّدق، ففي عالم البشر مجال الصّدق محدود فيما يخصّ المشاعر. الصّادق فِي مشاعره يُخذل ويُذلُّ ويُهَان ثمَّ يُحطَّم قلبه وذلك يُحدث دمارا كبيرًا في قلبه .

وصلنا للعيادة وجلستُ مع أبي ننتظر دورَنا .في هذه الأثناء رأيتُ طفلا يكون في مثل عمري لا يتجاوز الإحدى عشر سنة، لقد كان يلعب بدميته الصّغيرة .قلت بعد أن اقتربت منه ببطء شديد خيفة أن يراني أبِي:

- مرحبا أنا أحمد، ما اسمك؟

نظر تجاهي دون أن يتحدّث، أضفت :

- في أيّ سنة أنت من الدّراسة؟

مرّة أخرى لم يُجبني، إلى أن طرحتُ سؤالِي الثّالث قائلا :

- إن لم يعجبك حديثي هذا سأغيِّره.

أجاب بنبرة خوف:

- إسمي أنس.

- لنلعب معًا يا أنس، سأضع قوانين اللعبة، لنذهب إلى الخارج من دون أن يشعر أبِي، نُحضر لعبة ونستمتع معا.

ذهبنا لنحضر اللّعبة وعندمَا أمسكتها والتفتت فلم أرَ أنس إلَّا وهو يجري نحو أبي، يخذلني الكلّ دائمًا، يهون عليهم حزنِي ولا أحدَ يحبّني. إنّي أفقد الثّقة دائما وكلّما أردت أن أبدأ من جديد وأثق بأحدهم يخذلني ويجعلني أظنّ الأسوء ممّا سبق. وبّخني أبِي كثيرًا وهو يجرّني نحوَ مكتب الطّبيب،.يفعل هذا في كلِّ وقت، لا يهتم بي رغم أنّه يُخبرنِي في كلِّ مرَّة أنّه يحبّني ولكنّني لا أستطيع، لا أستطيع رؤية حبِّك يا أبي، هل أنا أعمى؟ أم أنّه لم يكن واضحًا لأراه؟ أم أنّ حبّك لي غير موجود أصلا؟ إنّه غائب عن قلبِي.

رحّب بِي الطّبيب قائلًا :»أهلا بك يا أحمد، تفضل واجلس».

فور جلوسي بدأ الطّبيب بطرح أسئِلة كثيرة ولم يتوقّف للحظة ولكنّني لم أجبه علَى أيّ منهَا وفي كل مرّة يطرح سؤالا لا أردّ عليه ثمّ نظرتُ إليه نظرةَ مستنجد من أبِي، فهم ذلك بسرعة فقال :

- سوف نتحدّث أنَا وأنتَ مطوّلا يا أحمد، سوف تحكي لي كثيرًا ونتناقش جيّدا، أليس كذلك؟

لم أتفوه بأيّ كلمة ثمّ أضاف الطبيب وهو ينظر لأبي قائلا :

- لكن قبل ذلك نطلب من أبيك الرّحيل، أليس كذلك؟

أومأت برأسي إيجابا، خرج أبي فبدأ الطّبيب يسألني عمّ إذا كنت سأحكي له ما يجول بخاطري، فقلت له:

- لأخبرك شيئا يا طبيب، أنا طفل صغير وأمّي وأبي يوبّخانني على أتفه غلطة أقوم بها، لا شيء فيّ يعجبهم ولا يوجد ما يرضيهم، حتّى أنّ أمّي تكرهني ونادرًا مَا تتركني ألعب مع الأطفال خارجا ولا تُعطينِي الدّمى التِي أريدها، تأتي كلّما أردت أن أحضر لعبة

فتبعدها عنِّي وتقوم برميها.

إنِّي أخَاف الظّلام وأخاف أن أجلس لوحدي، أخاف أن تحبِسني أمِّي ككلِّ مرَّة ولا تُعطينِي لا الطّعام ولا الشّراب، تسلبنِي حيَاتِي، طفولتي وشبَابي. أنا حقًّا حزين أيّها الطّبيب، هل تفهمنِي؟

- هل أكملت؟

- لو أنّني أجلس طوال اليوم أحدثك من دون أن أتوقّف لثوان فإنّني لن أتوقّف أبدا، أريد أن أنجو، أنا في ضيق كبير. المحيط الذي من حولي يبدو غريبًا وكأنّني في مكان لا يلائِمني ولا أنتمي له. أريد المغادرة في كل مرَّة يراودني فيها شعور الخوف، أَ تعلم لماذا؟ لأنّني لَا أستطيع مواجهته، أنا حتَّى لا أقوى على مواجهة نفسي .

من الخطأ أن أجلس هنا معك أروِي لك قصَّة حيَاتِي من أجل أن تساعدني ولكنّك لن تستطيع، لأنك لم تساعد نفسك، لم تتقبّلها ولم تتخطَّى خوفَك من فقدان أحد أفراد عائلتك، تماما كما فقدت ابنك الوحيد وهذا ما يجعلك تقبَل معالجتي من بين كل الأطبّاء. كنتَ مخطئًا، لقد خلقتَ لنفسك خوفا أعظم ممَّا أنت فيه وإن أخذتَ بنصيحتِي فدعنِي أدلّك على شيء. دعنِي أخرجك من متاهَاتك، دعنِي إنَّني حزنك وخوفك.

خرجنا من عند الطّبيب رجوعًا إلى البيت وفور وصولنا بدأت أمّي تعاتب أبي كعادتها، إنّها لا تكفّ عن الصراخ، نظرت إليّ وقالت:

- اذهب إلى الحمّام وسآتِي بعد قليل لأساعدك في الاستحمام.

بعد حوار طويل مع أبي أغلق الباب و ذهب، حتى أبي لا يستطيع مواجهة مشاعر الغضب، إنّه يرحل في كلِّ مرة. بعد قليل

دخلت أمِّي للحمّام وقالت :

- أحمد يا قرّة عينِي أنت، ما الذي حدث لك اليوم؟ كيف كانت جلستكَ مع الطّبيب؟

- جيّدة، أخبرته عمّا يقلقنِي ولكنّه لم يستطع مساعدتي فساعدته.

ردت أمّي بنبرة حزينة و الدموع تحتل عينيها:

- أنت لا تعلم ما الذي فعلته من أجلك عن تضحيتِي، أنت قطعة منِّي يا أحمد، أنت جزء من روحي.

- لكنّك تسلبيننِي ما أحبّ، إنّك تسلبينني حياتي.

- إنّ في حياتكَ حياتِي ولا حياةَ لِي في غياب حياتِك، أنَا أحيَا بحبِّك فِي كلِّ مرَّة توشك الحياة أن تنهيني .

- أمّي عليك أن تدركِي أنّك مفارقتِي يومًا ما، أنا أريد حياتي يا أمّي.

صرخت بقوّة وهي تقول:

- يا أحمد لماذا تفعل هذا لي دائما؟ إنِّي كلَّما اقتربت منك خطوةَ ابتعدتَ عنِّي عشرًا، افعل شيئًا لأجلي واجعلني أشعر أنّ لي مكانًا في حياتك.

- أ تخافين مفارقتي يا أمِّي؟

- إنَّ ذلك الخوف يُنهيني.

- دعينِي أساعدك يا أمي، سأجعل بينك وبين الخوف من فقداني حاجزا.

لقد كانت تبتسم وشعور الفرح بادٍ على عينيها، قلت لها:

- هات يدك يا أمِّي.

أمسكتها بعد أن وضعت يدها الأخرى على وجهي وهي تمرّرها بحبٍّ وحنان وقالت:

- لكنّني أحبك.

- أنا أعرف.

ونامت بسلام تام.

ذهبتُ للنّوم فِي غرفتِي أستشعر ظلام الليل و سواده، أ يعقل أن يحتّل هذا الظّلام هدوء كهذا؟ إنّه غريب أن يلتقيا في هذا الوقت وبهذا التّناقض، الأمر أشبه بحيَاتي في شدَّة الغرابة.

بعد غد حبسني أبي في البيت، مرّت ست سنين وأنا بين الحين والآخر أتسلّل إلى الخارج إلى أن ذهبنا للبلدة الأخرى وهناك التقيت ما كان ينقصني. ذات يوم وأنا في الخارج رأيت نور، كانت فتاة من النّوع الذي أحبّه، فتاة جميلة ذات شعر أسود طويل وبشرة قمحية، ذات عيون عسلية وقامة متوسّطة، تفاصيل وجهها دقيقة ومتناسقة كثيرا، حدّة الأنف وصغر الشّفاه. يوما بعد يوم أخبرت أبي أنّني أريد الالتحاق بالثّانوية، عارض ولم يقبل بالرغم من أن لي قدرات هائلة تساعدني على التّأقلم مع أي مستوى دراسي.

إنّ أبي يريد الحفاظ عليّ على نهج أمي ويريد حمايتي كما يظن هو، إنّني وصية أمّي لديه. بعد أن زاد خوف أبي علي طمأنته قائلا :

- يا أبي حالك كحال أمِّي تظنّون أنّكم تساعدونني وهذا يولِّد شدَّة الخوف لديكم لذا دعنِي أساعدك في تخطِّي خوفك من خروجي أو راحتي .

بعد غد سجّلت للالتحاق بالثّانوية وفوجئت بوجود نور في نفس الثّانوية ممّا زاد تعلّقي بها وإصراري عليها .

كل يـوم أسـتيقظ صباحًـا أفكّـر في نـور، بعـد مراقبتـي لهَـا مـرارًا أدركـتُ أنَّـه ليـسَ لهَـا أصدقـاء فهـي نـادرًا مـا تتحـدّث معهـم، إنهـا انطوائيـة جـدًّا، بـين البيـت والمدرسـة .إنّهـا ملتزمـة جـدًّا فيـما يخـصّ الدّراسـة لـذا سأسـعد بمسَـاعدتِها، سـوف أعـرض عليهـا أن نـدرس معـا.

بعدمـا كانـت نـور تجلـس لوحدهـا وقفـت عنـد المقعـد وقلـت:

- هل يمكنِني الجلوس بجانبك؟

- نعم .

جلست أمامها أدقق في تفاصيلها وقلت:

- ما اسمك؟

- نور وأنت؟

- أدعـى أحمـد، انتقلنـا حديثـا لهـذه البلـدة والتحقـت بهـذه الثّانويـة وأنـا لا أعـرف أحـدًا هنـا، أتمنَّـى لـو نصبـحُ أصدقـاء.

- لماذا انتقلتم؟

- يحب أبِي التّغيير دائمًا لذَا أحضرني إلَى هنا.

- جيد .

قاطعنا الاستاذ قائلا :

- هيا يا تلاميذ قد بدأ الدرس.

أخـذ الأسـتاذ يـشرح الـدّرس وكلّـما سـأل سـؤالا نظـر نحـو نـور ينتظـر إجابتَهـا وكانـت هـي الأخـرى تجيبـه في كلّ سـؤال وقلّـما تخطـئ. بعـد ذلـك كتـبَ الأسـتاذ تمرينًـا عـلى السـبّورة وأمرنـا بحلـه، أنهيـت حلّـه ونـاديـت الأسـتاذ لـيرَاه، نظـر إليَّ نظـرة دهشـة وقـال :

- هل حللته بمفردك؟

- نعم

- و بهذه السرعة؟

- أجل.
- أين كنت ندرس؟
- في إحدى الثّانويات ببلدتِي.
- إنّ لـك قـدرات هائلـة، لـن يسـتطيع أيّ كان حـلّ تمريـن كهـذا بهـذه السّرعـة والدقّـة، حقًّـا أنـا اقـدّر مجهـودك يـا...
- أحمد .

قالت نور:

- كيف فعلت ذلك؟
- إن شئت أعلّمك .
- خيرًا تعمَله.

بدأت أريها طريقة الحلّ إلَى أن قالت :

- شـكرا لـك يـا أحمـد لقـد سـاعدتني كثـيرا سـأذهب للبيـت الآن، إلى اللقـاء نلتقـي غـدًا.

ذهبـت للبيـت وفي صبـاح اليـوم التَّـالي التقينـا وتعرّفنـا عـلى بعضنـا أكـثر، مـا تحـبُّ ومـا تكـرَه وزاد قـربي منهـا ويومـا بعـد يـوم طالَـت أحاديثنـا وصرت لا أفارقهـا واقعًـا وخيـالا. لأوّل مـرَّة جربـت شـعورا جديـدا وهـو أن يُلملمنـي أحدهـم ويسـمعني ويهتـمّ بـأدقِّ تفاصيـلي.

أن أشـعر بالأمـان بقربهـا، أن يكـون لي ملجـأ آوي إليـه، إنّهـا وطنـي .لقـد وجـدت نفـسِي ووجـدت مـا كان ينقصنـي، إنّهـا نـور. لم أتـردّد للحظـة في وصـف شـعورِي تجاههـا وبادلتنـي نفـس الشـعور .

التقيتها صباحا بعد شروق ضحكتها، قلت لها:

- صباح الخير.
- كيف حالك؟

- إنّي بخير ما دمت بجانبك يا نور، انظري فِي عيني ودعيني أعبر لعينيك، قولِي أنّك تحبِّينني.

اقتربتُ منهَا وأمسكت بيدها وقلت :

- هل تريدين أن تصبحي عالمي؟

- كيف؟

- إنِّي أحبّك.

- وأنا أحبّك .

- إذن أحييني بحبّك يا نور .

توالت الأيّام وحبّنا يزداد يومًا بعد يوم إلى أن غبت أيَّاما طوال وبعد أن عدت أدركتُ أنّني أغرق في حبِّ نور وأن قلبِي لا يستطيع أن يُعايش هذا الشعور وأنّه ثقيل على قلبي فقلت لها: «يا نور، إنّه لم يعد لديك مكان بقلبِي»، لم تردّ عليّ ولم تتفوّه بكلمة إطلاقا وغادرتْ في صمت مخيف. إن ما حدث يؤلمِني أكثر من نور وإنّه أشد أثرًا عليّ منها، لم أدرِ لماذَا ولكنّني قلتها. كنت أريد حماية نفسي فقط، لم أرجع من وقتها حتّى اليوم الذي غلب قلبي على عقلي فذهبت بحجّة أنني أريد دروسا. لم أظنّ للحظة أن نور ستعاملني بتلك الطّريقة، لقد كانت هادئة على عكس عادتها، لم تكن هكذا من قبل أو بالأحرى لم يكن تصرّفها معي هكذا. كانت تصرخ فِي كلّ مرّة أتأخّر فيها عنها، لماذا جعلتني أقلق عليك؟ أين كنت؟

الآن هي لا تحدّثني كذلك، حتّى عينَاها أصبحتا تخبراننِي أنّها لم تعد تحبّني، لم تعد تهتم بِي. كنت أنتظر منها كلمة فقط ولكنّها لم تحضر للدّراسَة حتّى. افتقدتها، لقد غابت شمسِي عنّي، لقد خسرتها لأنّني أردتُ ذلك وأنا استحق هذا.

لم أتوقّف يوما عن انتظارها حتّى اتى اليوم الذي جاءت فيه إليّ، وقفت أمامي وهي تنظر في عينيّ قائلة :

- مرحبًا أحمد، أريد التّكلم معك.

- كما تريدين.

أخذتني نور للمكان الذي أستحقّه والذي تربّعت فيه على عرش السّلطة وصرت ملكًا والأجمل من ذلك إنّها ملكتي .لا شيء ينقصني، إنّي أعيش الحياة التي أريدها مع نور فهي لا تفارقني للحظة، تهتم لراحتي وراحتي معها. يومًا ما كنت أتجوّل في أنحاء قصري فلمحت شيئًا غريبًا من نافذة إحدَى الغرف، لقد كانت امرأة ذات شعر طويل كشعر نور تمامًا تقف على رأس أحدهم و تحمل سكّينا بيدها والدم يملؤهَا. اقتربت منها لأكتشف الأمر وزاد وضوح الوجه كثيرا، لقد كان يشبهني في كل شيء، لقد كان أنا و تلك نور تقف على جثّتي وسط شموع كثيرة وتقطّع لحمِي بوحشية كبيرة، لقد آلمني المنظر كثيرا .حاولت الدّخول للغرفة ولكن لم أستطع حتّى شعرت بيد حطَّت على كتفي:

- عذرًا من أنتِ؟

التفتتُ فقالت:

- سامحني أيّها الملك، لم أكن أعرف أنّه أنت، سامحني أرجوك.

- ما الذي يحدث في هذه الغرفة أيّتها الجارية ؟ و من ذاك؟

- أَ لا تعلم يا سلطَاني عن القصّة؟

- لا اروِيها لِي.

قالت بعدما تنهّدت:

- ذاك الـذي هنـاك تجسـيد الـشرّ، كانـت أمّـه ككلّ النّسـاء تبحـث عـن حبّهـا الأوّل ونصفهـا الثّـاني إلى أن وجدتـه وتزوّجتـه ولكـن لسـوء حظّهـا لم تـذق طعـم الأمومـة، ففـي كلّ مـرّة تحمـل فيهـا تتعـرّض للإجهـاض، حتّـى أنّهـا يومـا قـد حملـت بطفـل وهـي في شـهرهَا الخامـس زارت طبيبـة النّسـاء فأمرتهـا بـأن تُجـري بعـض التّحاليـل وتحضرهـا وهـذا تمامـا مـا فعلتـه الأم .بينـما هـي جالسـة سـألتها إحـدى النسـوة قائلـة :

- في أيّ شهر أنت؟

- الشّهر الخامس

- ولكنّك تبدين في غاية التعب.

- إنّ هـذا هـو حمـلي العـاشر، أعلـم أنّـه لم يولـد كـما حصـل مـع باقـي إخوتـه، كلّ مـا أريـده الآن بصيـص أمـل يُسَـاعدني عـلَى تشـجيع نفـسِي ومواسـاتها

- العاشر؟

- أجـل، أنـا لا أسـتطيع عيـش شـعور الأمومـة ومـا يزيـد مـن حـزني هـو أسـئِلة العائلـة والأقـارب التـي لا تـكاد تنتهـي «كـم طفـلا لديـك؟» وعندمـا أردّ لا طفـل لـديّ تبـدأ الكلـمات القاسـية «لمـاذا لم تلـدِي حتّـى الآن؟ هـل زرت طبيبـا؟ هـل أنـتِ عقيـم؟ هـل جرَّبـتِ العشـبة الفلانيـة؟ مـاذا عـن العشـبة الأخـرى؟ مـاذا عـن الطّريقـة الفلانيـة؟ كـم مـرّ عـلى زواجـك؟ لمـاذا لم تحمـلِي بعـد؟ هـل الخلـل فيـك أم في زوجـك؟» إنّي أسـمع هـذا الـكلام في كلّ اللقـاءات مـع العائلـة، في كلّ حفـل زفـاف أو جنـازة حتّـى أنّنـي لم أعـد أذهـب للحفـلات وأتفاداهـا قـدر المسـتطاع.

- لا تحـزني، كنـت أعـرف امـرأة ليسـت بعيـدة عنـدي بمثـل حالتـك لا حمـل لهـا نجـا، حتّـى أنّهـا فقـدت الأمـل إلى أن التقـت بعجـوز يقـال أنّ لهـا قـدرة عـلى مسـاعدة النّـاس وإخراجهـم مـن مشـاكلهم مهـما تعـدّدت أو كـبرت. ذهبـت إليهـا وسـاعدتها وولـدت مولودهـا بخـير وعافيـة وهـو الآن في العـاشرة مـن عمـره، كلّ مـا فعلتـه أنّهـا نفّـذت بضـع طقـوس وهـي الآن أمّ.

- حقًّا، إذن يوجد أمل لعيش ابني.

- نعم .

- دليني عليها أرجوكِ.

فدلتهـا المـرأة وذهبـت إليهـا وأخبرتهـا بكامـل حالتهـا فقالـت العجـوز :»اسـترخي يـا بنيّتـي، أنـا سـأنقذك مـمّا أنـت فيـه ثقـي بي فقـط. إنّي سـأعطيك الحـلّ و إن شـئت اتّبعتـه وإلّا لـن يكـون لديك ولد وتذكّـري أنّ كلَّ خطـأ كبـيرا كان أو صغـيرًا فإنَّـه سـيكلفك حيـاة ابنـك. إنّ هـذه الميـاه مقدّسـة، خذيهـا واشربي منهـا مـع العـصر في كلِّ خميس ومـا إن يقـترب وقـت ولادتـك تعـالي إلي». وافقـت المـرأة واقـترب موعد ولادتهـا فـزارت تلـك العجـوز مـن جديـد وهـذه المـرة اخبرتهـا العجـوز أنّهـا سـتلد ذكـرًا و تنـذره لعالَـم الجـنّ و بهـذا سـتحميه قـوّة الجـن فـلَا يمـوت عنـد ولادتـه وكل مـا عليهـا فعلـه هـو أن تغسـله بالمَـاء الـذي كانـت تشربـه، فوافقـت الأمّ للمـرّة الثانيـة ولكنّهـا لم تعـرف مـا كان ينتظرهـا. في الوقـت الـذي نـذرت فيـه رضيعهـا فـإنّ أحـد المـردة سـلبه روحـه الطاهـرة وتلـك الـرّوح تسـبّبت في خسـارة المـارد لأخيـه وخـرق قوانـين السـلطة، لقـد أحدثـت فتنـة ومـات بسـببها مـارد وكان لذلـك المـارد ابـن يدعـى مـازر. لم يتقبّـل مـازر فكـرة مـوت أبيـه، إذا فقـد سـعَى للانتقـام لـه وكان أحمـد ضحيّتـه الأقـوى في عـالم البـشر .

بعـد أن ولـدت الأمّ رضيعهـا ونذرتـه فرحـت فرحًـا شـديدا وأخـذت تربّيـه بـكلِّ حنـان، كيـف لا وقـد انتظرتـه طويـلا .بـدأ أحمـد يكـبر شـيئًا فشـيئًا وكلّـما كـبر اكتشـفت الأمّ فيـه غرابـة أكثر من السّـابق .لم يكـن فتـى عاديًّـا، لقـد كان مـرآة الـشر .لقـد كان يقتـل الحيوانـات تحـت مـا يسـمى بأنّهـا دمـى إلى أن تَمـادى فِي أفعالـه وأصبـح يقتـل البـشر، لقـد قتـل أصدقائـه أثنـاء اللّعـب في ظـروف غامضـة ودائمـا مـا يـتردّد عـلى القبـو المظلـم ظنًّـا منـه أنَّهـا غرفتـه. كلّـما أبعدَتـهُ عنـه يتذمّـر إلى أن بلـغ العـاشرة مـن عمـره فقـررا الوالـدان أخـذه لطبيـب نفـسي ولكنّـه قـد قتـل الطّبيـب.

لم يكـن ولـدا عاديـا وكلّـما نظـر في عينـيّ شـخصٍ مـاتَ ذلـك الشـخص مـن دون أي أثـر، إنّـه يسـلب النّـاس حياتهـم و أرواحهـم، إنّـه غـير طبيعـي. حاولـتْ مـرارًا أن تعالجـه، كلّ مـا أرادتـه أن يكـون فتًـى عاديًـا .مـا الـذي عانتـه مـن أجلـه؟ إنّـه قطعـة مـن روحهـا، لم تيـأس يومًـا منـه ولكـن في اليـوم الـذي جـاء فيـه أحمـد مـن عنـد الطبيـب قتـل أمّـه، أمّـه التـي فعلـت كلّ شيء مـن أجلـه ثـمّ رحـل وأبـوه لبلـدة أخـرى أمَـلا في أن يتغـيّر أحمـد بعـد مـوت أمـه ولكـن لا جـدوى .بعـد أن زاد ضغـط الأب عليـه قـام بقتلـه هـو الآخـر.

إلى أن التقـى نـور فأزهـر قلبـه بحبِّهـا وأصبـح يحـسُّ، حـبّ نـور أحيـى قلـب أحمـد وبـدأت مشـاعره تتحـرّك ولكـن كان ذلـك بعـد فـوات الأوان ففـي ذلـك الوقـت كانـت نـور ملـكًا لمـازر فقـط وكانـت هـي مـن اسـتدرج أحمـد للغرفـة التِـي عُـذّب فيهـا. قامـت بقتلـه بـكلِّ وحشـية وكانـت تـتردَّد بـين الحـين والآخـر لتقطّـع جسـده و تملأ دمـه وفي الأخـير أهـدَت روحـه لمـازر، فـلا القـصر كان قـصرًا و إنّمـا سـجنًا ولا هـو كان ملـكا ولا نـور كانـت مَلكتـه وإنّمـا معذّبتـه .لقـد كان أحمـد

ضحيّة انتقام ولكنَّه استحقَّ كلَّ ذلك لِمَا فعله من شرٍّ.

نظرت إليها بدهشة وقلت:

- إذن فتلك الجثة لا تشبهني وإنَّما هي أنا والتي تقف فوق رأسي نور تنهش جسدي وتقطّعه إلى أجزاء تعصر منها الدّم وترميها في تلك النّار فيزداد لهيبها وهي تضحك وتستمتع .أنا حقًّا لا ألومك يا نور، إنّي ألوم أمّي فهي من كانت سببا فِي ضياعِي .لقد ضحّت بحياتي مرّتين. أ يعقل أن يُحبّ المرء أحدًا بهذا القدر الذِي يجعله يعايش حالة من الانهيار و اللاوعي.

أن ينفصل عن الواقع الآن يا أمّي، أدركتُ سبب كرهي الشديد لك .بقدر ما كنتِ تحبّينني يا أمّي فقد كرهتك وكنت أنا من قتلك ولم أندم يومًا على ما فعلته لأنّك تستحقّين ذلك .لقد كنت منقادة لمصالحك الشّخصية، كنت ممن يعيش للنّاس فقط ولعلّ هذا من أوّل خطوات الجنون .أن يعيش المرء للنّاس محاولا إرضائهم، صحيح أنّنا نعيش بين النّاس ولكنّنا لن نعيش لإرضائهم. روحي النّقية كانت قربانًا للقانون الملكي للمردة تحت سلطة مارد جشع مما جعل الرّوح الشّريرة تعيش بين البشر وتنشر الشرّ أينما وقعت ويزداد شرّها عندما تعرّض القانون الملكي للخرق بسببها.

جرّبت أسوء المشاعر وكنت أرتاح لذلك أكثر من أي شيء آخر، أفرح لعذابهم وشعور الألم لديهم يزرع فيَّ قوّة كبيرة ورغبة قاتلة في تجربة المزيد منها، المزيد من تعذيب البشر والمزيد من زرع الألم فيهم. مهما بلغت قوّة شرِّي فإنّها لا تُضاهي شرَّ البشر وحبّهم الشديد لمصالحهم الشّخصية، عجيب هو حالهم وصعب هو فهمهم.

لم أعلم كيف ولكنّ منظر الدّم في يدي يعجبني كثيرًا، إنّه لحم احمد. لم اصدق يومًا أنّني كنت أحبّه في زمن ما. تبًّا لي كم كنتُ غبيّة، لقد كان جثّة بين يديّ أقطّعها كيفمَا أشاء وأعصر الدّم منها وأقدّمه لمازر، أروي عطشه بروح أحمد وأُحرق ما تبقّى منهَا وكلّما ازدَاد لهيب النّار أشعر بمازر يقترب منّي شيئا فشيئا.

أخذتُ كلَّ ما طلبَتهُ منّي تلك السّاحرة، قامت ببعض الأشياء وأعطتني إيّاها وشرحت لي كيفية استحضاره. ما إن دخلتُ البيت حتَّى ذهبتُ لغرفتي وأغلقتُ الباب ونفّذتُ كلَّ الطّقوس من شموع ودم ولحم والكثيرَ من الطلاسم حتَّى انتهيت من تلك الطقوس وصرخت بأعلى صوت ناطقة اسم مازر سبع مرات أنتظر قدومه بفارغ الصبر وها قد أتى قلت :

- مازر أنا آسفة، سأفعل كلّ ما تريده ولكن لا تتركني أرجوك. أنا لا أُطيق الحياة بدونك .

مازر لا يردّ عليّ، أكلمه مجدّدا قائلة:

- ردّ عليَّ يا مازر، أخبرني أنّك هنا وأنّك لن تغادرني مرّة أخرى، أليس كذلك؟

- سأفعل ولكن بشرط؟

- وما شرطك؟

- عليك أن تُطعمينا يا نور.

- كيف؟

- ما إن نتزوّج يصبح ربَاطنا وثيقا ولن أغادرك أبدا ولعلّ من أشكال الرّباط أن نأكل نفس الطعام ألا وهو لحم البشر والدّم .

- لا مشكلة، وجودك يُغنيني عن كل شيء.

- إذن سأعتبر هذه موافقة يا نور.
- بالطّبع.

بعد ذلك تزوّجت أنا ومازر وتعاهدنا أن نعيش كلّ ثانية مع بعضنا. يوما بعد يوم اعتدت حياتي مع مازر نأكل ونجلس وننام سويًّا، فهو لا يُفارقنِي للحظة. أنا أعيش في حلم سعيد جدًّا وأتمنّى لو لا أستيقظ منه أبدا.

توالت الأيّام وأنا من يوفّر الطّعام لِكلينا بكلِّ حبٍّ. ذات يوم أخبرني مازر أنّه سيكون لنَا بيت جميل نعيش فيه سويّة، لم أعارض بل وفرحت كثيرا. انتقلنا إلى ذلك البيت وذهبت معه، كان هو من يأتيني بالطّعام هذه الأيام فأنا لا أغادر بيتنا. أنا الآن حامل وسأرزق بطفلنا الأوّل، لطالما انتظرت هذه اللّحظات وها هي تطبّق اليوم. اليوم خرج مازر لجلب الطعام ولكنّه لم يعد، بحثتُ عنه في كلّ مكان ككلِّ مرّة ولكن ثمّة خطب ما، لم يعد مازر، انتظرت كثيرًا قبل أن أخرج من البيت و لكنّه لم يأت. بحثت عنه مطوَّلا وباءَت كلّ محَاولَاتي في البحث بالفَشل، أنا عاجزة الآن.

عدت مرّة أخرى لتلك السّاحرة، طرقتُ الباب ودخلت فقالت وهي تنظر إلى الأرض ودون أن ترفع عينيها قالت :

- أَ غادركِ مازر مرّة أخرى؟

أومأتُ برأسي إيجابا وقلت :

- نعم و لهذا أتيت.

- لكن هذه المرّة سوف تطبّقين ما أقول بالتّحديد فالأمر أصبح صعبًا هذه المرّة يا نور.

هذه المرّة تفاقمت طلبَاتها، أموال وجثث ولحم بشر، وفّرت كلّ شيء وأقمت كلّ الطّقوس ولكنّ مازر لم يحضر. لم يمر يوم عليّ

بعدها حتّى أنهاني الحزن ولا فارقت الدّموع عينَاي بعدها ومات ابني من شدّة حزنِي على مازر.

أشتاق إليك يا مازر، في كلّ ثانية تمضي ينهش الألم جسدي. إنّي لا أقوى على العيش بدونك حتّى تفكيري بأنّك ستفارقني يومًا يرهقني كثيرا وها قد فارقتني. أنا بالكاد ألملم شتات روحي الآن، بدونك أنا لا شيء لأنّك كل شيء بالنّسبة لِي يا مازر، أين أنت يا روحي؟

اقترحت السّاحرة حلّا قائلة:

- يا نور إن مازر يريد أن يراك.

فاض الدّمع من عينيّ فرحا فقلت :

- أين ومتى؟ أريده الآن.

لكنّها اعترضت قائلة :

- لكن لديه شرط يقول أنّه سيعود بعد أن تنفّذي هذا الشرط.

- أنفّذه ولو كان على حساب روحي.

- وهي كذلك يا نور، إنّها روحك.

- كيف ذلك؟

- يريد مازر روحك يا نور.

لم أتردّد للحظة وفديته روحي، أساسا لا معنى لروحي بغياب مازر. أنا جثّة بدونه، أهديت مازر ما أراده منِّي أملا في أن ألقاه يوما ما، أن نعيش معًا، أن نعود كما كنّا في السّابق كعائلة.

لقد أعماني حبّ مازر، سلبني عقلِي وقلبي، أخذ منّي كلّ شيء والآن ها هو يأخذ منّي أغلى ما أملك ألا وهي روحي. لِم تطلبها اليوم يا مازر وهي قد كانت لك منذ البداية؟ منذ أن

رأيتك أول مرّة علّمتني معنى الأمان، معنى أن يحبّ المرء بجنون ويفقد كلّ شيء من أجل من يحب ومعنى أن يعلو قانون الحبّ ويهزم كلّ القوانين الأخرى.

قالت السّاحرة :

- يا نور طوال حياتي لم أشهد حالة كحالتك، أنت فريدة من نوعك تخوضين حربًا. قويّة جدًّا والأجمل من هذا أنّك شجاعة، شجاعة للحدّ الذي يجعلني أتساءل إن كنت حقًّا بشرية أم أنّك من العالم الآخر أم أنَّ قوّة الحبّ في قلبك أكبر من أن تُهزم من قبل جنيّ مهما كان نوعه ومكانته في عالمه.

- إنّي لست شجاعة وإنّما ملعونة وإنّي إن فارقت لعنة المارد يومًا فإنّها بالتأكيد تلاحقني، لذا أخبريني ما الذي يُمكنني فعله الآن.

- انتظري ليلة اكتمال القمَر على السّاعة الثالثة فجرًا أمام المرآة الموجودة في نفس الغرفة التي عذّبت فيها أحمد، اكتبي اسم مازر في المرآة ولا تنسي أن تحضِري سبع جثث للأشخاص الذين قتلتهم.

- لكن يوجد منهم من دفن.

- هذا ليس بالأمر الصّعب عليك يا نور، أخرِجي الجثث وأحضِريها ولا تنسي رماد حرق أحمد، خذي الرّماد وارسمي خطًّا يبعد عن المرآة مترا وبعد أن تكتمل الطّقوس اعبري الخط هناك ستلتقين مازر من جديد.

غادرت من دون أن أتفوّه بكلمة واحدة وصرت أجمع الجثث واحدة تلو الأخرى، امرأة ورجل، طفل صغير، فتى مراهق وفتاة شابة وعجوزان. دخلتُ للمقبرة ليلًا وكان الظّلام شديدا، هبّت

ريح ساخنة وكأنّني أعبر نحو جهنّم وانتشلت الجثث من تحت التّراب، شعور رائع، وأخيرا أحضرتُ رماد جثّة أحمد.

بعد منتصف الليل في ليلة اكتمال القمر حضّرت كلّ الطّقوس وانتظرتُ الثّالثة فجرًا. بعد لحظات عمّ الظلام وانكسرت المرآة، بدأ المكان يضيق وبدأتُ أفقدُ أنفاسي شيئًا فشيئًا، تسارعَت نبضَات قلبي إلَى أن شعرتُ بأنفاس مازر السّاخنة تُلامس جسدي ورائحته التِي لم تُفارق ذاكرتي يوما تتسلَّل إلَى أنفِي فأستنشقها بقوّة. تقدّمتُ نحو المرآة وعبرتُ الخطّ إلَى العالم الآخر إلى أن همس مازر في أذني قائلًا :»كنتِ ولازلت تحبِّينني وها أنتِ اليوم تُلقِين روحك قربَانًا لرؤيتي ولقربي لك. بكيتِ دمًا ومتِّ قهرًا لرؤيتي ولو للحظات، انهرتِ شوقًا وبعثتِ عشقا في قيامَة حبِّي، لقد كنتِ بين الحياة والموت وكنتِ تحت لعنتي .أنتِ من تسبّبتِ في قتل أولادي، لطالما نبذتكِ وكرهتكِ وعملتُ على تعذيبكِ بشتَّى الطّرق، أ تعلمين لماذا؟ لأنّك تستحقّين الأسوء وكل ما حدث لك وأكثر. أنت من سلبتِ منِّي راحتِي وسلبتكِ طمأنينتكِ، أخذتِ منِّي أولادي ومفتاح الحصول على سلطتِي واليوم أنا آخذ انتقامي منك بأسوء عذاب أنت ومن مثلك وحتّى حبّ أحمد لك لم يكن وليدَ الصّدفة وإنّما من تدبيري، فلتحترقِي فِي حبّك لِي يا نور».

ظننت أنّني سألقى مازر بعدها ولكن بعد أن نفذَتْ كلماته غادرت إلى السّماء، لقد كنتُ صادقة في مشاعري للحدِّ الذي جعلني أُلقي بروحي إلَى الهلاك، فِداك روحي أيّها المارد ولتكن قربانًا لحبِّي اللّعين.

مكانتي كمارد تجعلني أفكر في كيفية الحصول علي سلطتي وعلى أخذ انتقامي لنفسِي ثمَّ لأبِي الذي كان ضحيّة جشع أخيه

.صحيح أنّني أحبّ السّلطة وهذه كانت ولا تزال فطرةً في كلِّ مارد عادي كان أو يحمل دم الملوك. غادرتُ نحو عالم البشر وكانت رحلةً صعبة جدًّا، واجهت العديد من الصعوبات، تركت قوّتي و أُجبرت أن أتعامل مع البشر بطريقةِ شرِّهم فقط، أن افكّر مثلهم وأن أحقّق مُبتغاي وأعود إلى موطني في أقرب وقت.

ما بين العالمين أقفُ في فراغ كبير. هنا حيث يجتمع كلّ ما هو سيء من نفاق وحقد وغلٍّ و كره من البشر وهناك حيث العالم المجهول، أطرافه وسِماته بالنّسبة لأيّ بشرّي صعب فهمه على العقول ولكنّه بالتّأكيد أقلّ سوءًا من العالم الأول حيث السّلطة والنفوذ وحيث يبحث الكلّ عن القوّة ليعيش من أجل مملكته فقط لا لنفسه على عكس العالم الآخر.

صرت أراقب نور في كلّ خطوةٍ تخطوها، أقترب منها وأتواجد في كلّ مكان تكون هي فيه من أجل أن أوقعها في شباك حبِّي ولكنّني لم أستطع فعل ذلك، فشلت في ذلك بعد أن حاولتُ مرارا وتكرارا. بدأت أيأس وأفقد الأمَل في أن أرجع لعالمِي وفي لحظة ضعف منّي رأيتُ أحمد. أحسست بكميّة الشّر التي يحملها، لم يكن شرَّ بشريٍّ، لقد كان شيطانًا وذلك مَا أحيَا مشاعر الأمل و القوّة فِي نفسي من جديد، لقد كان الرّضيع الصّغير الذي تسبب في مقتل أبي في حين أنّه كان يجب أن يكون مفتاحه للسلطة .لقد كانت تلك الرّوح سببا في خرق قوانين المملكة وخلق الجشع في المارد الآخر، عُميَ بالرّغم من أنّه لم يستلم عرش السّلطة كثيرا ولكنّه أخلَّ بالقانون الملكي و دمّر السلطة الملكية .لقد نُذرت روح الرضيع لعالم الجن ففي الوقت الذي كان يجب أن تكون فيه هذه الروح أملا أصبحت ألما .حاولتُ أخذ انتقامي من أحمد

ولكنّني لم أستطع أيضا .

بغضِّ النّظر عن روح أحمد الشريرة ولكنّها تبقَى داخل جسم بشري فهو قد أتقن استعمال الشرِّ الذي فيه وغير ذلك فإنّ نور كانت المخرج الوحيد لي ولأحمد .لقد حرّكت نور مشاعر الإنسانية في قلب أحمد وصار يفقد قوّته كلّما زادت مشاعر حبّه تجاهها وتوقّف عن قتل البشر فلم يعد لديه غذاء يكفيه ليعيش لذا قرّر الابتعاد عنها وكلّما ابتعد عنها وزادت قوّة الشرّ لديه، لم يكن أحمد يفكّر في إمكانية أن تحبّ نور أحدا آخر غيره، لقد خلقَ الشّوق في قلب أحمد نتيجة الخذلان الذي تعرّض له. لم يكن لديّ حل آخر عدا حب نور لي فهو سيحييني، صرت معها في كلّ يوم وكلِّ ثانية ودقيقة، أترقّبها وأرافقها أينما كانت. انسحاب أحمد أعطاني فرصة لا تعوّض وجعلني أصبح الملجأ الوحيد لنور، أن أجعلها تحسّ بالأمان وأن أرسم لنفسي مكانا في قلبها، أن أحلّ مكان أحمد وأعوّضها عن حبه. كنت ظلّها وملجأها، رفيق دربها وملك قلبها. بعد أن أدركت حبّ نور لِي حاولت الإنسحاب فغادرتها ولم أكن أظنّ أنّها ستشتاق لي بتلك الطريقة، رغم أن تلك الطريقة ترسم لي مسارًا آخر أسهل بكثير وتخدم مصالحي ولكنّني لازلت أدهش من طريقة حب البشر. صارت نور تستحضرني في كلّ مرّة وأنا بالطّبع أحضر .تأكّدت من حبّها الشّديد لِي ونقطة ضعفها هي مفارقتي ومغادرتي لها بين الحين والآخر.

كنت أضعف في كلّ يوم أقضيه عند البشر لأنني لا أستطيع العيش من دون قوّتي وغذائي، أنا لا أستطيع أن أصمد أكثر .طلبت من نور إطعامي أرواح البشر، شربِي دمائهم يبقيني على قيد الحياة ريثما أعود لعَالمي. في كلّ مرة تقتل فيها نور شخصًا يزيد أملي

في الحياة إلى أن حان وقت أحمد، إنّ نور نقطة ضعف أحمد لذا استعملتها في جلبه للمكان المهجور في نهاية الغابة لكي أستطيع الحضور وقتلت نور أحمد بكل وحشية .الآن يا أبي أخذت لك انتقامك فلترقد روحك بسلام، سأصنع لك مكانا في سلطتي، في قراراتي و قوانيني بعد أن أصبح سلطانا يا أبي .حتّى أنّني تزوّجتها لكَي أضمن عيشِي وأضعها تحت قيودِي. أخذتُ نور لمكان بعيد عن البشر وجعلتُها تُعايش معنى العائلة و تذوق طعم الأمومة وأطعمتها لحمَ بني جنسها وأشربتها دمهم إلى أن أوشكت مهلة بقائي في هذا العالم وقرّرت المغادرة .الآن أحتاج أرواحا كثيرة ونور هي من تسلّمني إيّاهم ومن بينهم روح أحمد رمز انتقامي لأبي. أخذتُ روح نور فلم يكن على نور البقاء على قيد الحياة، أن يضحّي الإنسان بهذه الطّريقة من أجل من يحب شيء جنوني .إنّ نور رمز للإنسان المنقاد لغرائزه البشرية ولا تستحق العيش لمَا عليها من تأثير مدمّر على المجتمع ككل. أن يحب المرء ليس بالضّرورة أن يبلغ مبلغ الجنون أو أن ينفصل عن واقعه .

بعد أن أخذتُ روح نور كان عليّ الرجوع لعالمي، رجعتُ بعد أن حصدتُ أرواحًا كثيرة وفور وصولي توجّهت نحو المملكة، أخيرا سوف أحظى بالسلطة التي أتمنّاها .نُصِّبت ملكا على عرش مملكة المردة، غيّرت قوانين السّلطة ورسمت منحى آخر لتاريخ المردة، بعد الآن لن يظطر الإخوة للتقاتل على عرش السّلطة ويكون الحقّ في امتلاك السّلطة لحاملي الدّم الملكي فقط فأيّما مارد استحقَّ العرش يجلس عليه .زادت قوّة ونفوذ المردة في فترة حكمِي وصارت أقوى من أيّ قبيلة أو نوع من أنواع الجنّ، لا مكان للشرّ بيننا حتّى أنّ عقاب من يُخلّ بقانون المملكة قاسٍ

جـدًّا. مـن المؤسـف أنّنـي لا أسـتطيع أن أرى مـدى قـوّتي يبلـغ مبلغًـا يجعلنـي أواجـه عـالم البـشر ولكـن كلّ مـا أنـا متأكّـد منـه أنّ لا وجـود لقـوّة قـد تحطّـم البـشر غـير بعضهـم البعـض، مشـاعر الحقـد والأنانيـة تقـضي عليهـم، ينهـي بعضهـم بعضـا في كلّ ثانيـة تمـرّ، اللعنـة عليهـم يسـتحقّون ذلـك.

أشرقـتْ شـمس يـوم جميـل بعدمَـا تسـلّل نورهـا مـن نافـذتي صباحًـا في غرفتِـي الصّغـيرة وفي هـذا البيـت الجميـل. يـزدَاد تعلّقـي بهـذا المـكان وخصوصًـا المنـزل الـذي أعيـش فيـه، مـكان هـادئ بعيـد عـن الضوضـاء الكثـيرة. فـور نهـوضي خرجـتُ كعـادتي أشـتري فطـوري الصّباحـي، أعشـق تفاصيـل حيـاتي رغـم أنّنـي أسـعَى للتّغيـير والاكتشـاف دائمـا.

أنـا متصالـح حقًّـا مـع روتينـي اليومـي، حتّـى الطّريـق الـذي أسـلكه كلّ يـوم صباحًـا بهوائـه النّقـي الـذي يبعـث السّـعادة في الإنسـان لتمضيـة يـوم جميـل .بدايـة جيّـدة لعيـشِ يـومٍ جيّـد لـذا فأنـا أعشـق طريقـي إلى المحـلِّ الضّيـق الـذي يتواجَـد فيـه العجـوز الكبـير ذاك الـذي ورغـم صغـره فإنّـه يحمـل كميّـة مـن الحـبّ كبـيرة جـدا تجعلـك ترَاهـا في ابتسـامته عنـد رؤيتـك مـن بعيـد بعـد أن يرفـع يـده مرحبـا بـك قائـلا :»أهـلًا يـا بنـي» فـأرد عليـه: «أهـلا يـا أبِي»، ليـس مجاملـة منِّـي بـل إنّـه يحـب سـماع هـذه الكلمـة كثـيرا خصوصـا بعـد أن فـارق ابنـه و هـو في سـنٍّ صغـيرة، فهـو يرَانـا كأبنائـه ويعاملنـا بحنـان كبـير. آخـذ الحليـب مـن عنـده وأنـا أردّد نفـس الكلمـة «شـكرا يـا أبي، رعـاك اللـه يـا أبي، أدامـك اللـه لنَـا وجعلـك تاجـا فوق رؤوسـنا»، تـزداد فرحتـه مـع سـمَاع كلّ كلمـة مـن هـذا القبيـل، أمـر بعدهـا لـكي أجلـب الخبـز مـن عنـد خالتـي في آخـر الحـي.

- صباح الخير يا خالة.
- مرحبا بك يا ولد، كيف حالك؟
- بخير يا خالتي وأنت؟
- أصبحت بخير بعد أن رأيتك.

أرفقتها بابتسامة ترسم معنى المحبة:

- خبزك جاهز يا بني وهو مُحضّر بكلِّ حب لك.

أخذتها بعد أن شكرتها كثيرا وقلت :

- إلى اللّقاء يا خالة.

رفعت يدها وهي تودّعني قائلة:

- أراك غدًا يا بني.

غادرت المحل راجعًا إلى البيت و أنا أتأمّل تفاصيل الحيّ، كلّ من هنا رمز للمحبّة والأخوة رغم انفصال رابطَة الدّم بينهم. الخالة و زوجها في المخبزة وكيف يخبزون الحبّ ويبيعون البسمة قبل الخبز، ذلك يعكس المودة الزوجية بينهم. العجوز الذي يناديه الكلّ بأبي فهو يعيش دور الأبوة بحبٍّ كبير ودائمًا ما يردّد «يا أبنائي إني قد فقدت ابنا وعوّضني الله بأبناء أكثر، علمتموني معنى أن يشعر المرء بحبِّ أبنائه، شكرًا لكم حقا». لا ننسى تلك الفتاة الشابّة التي في قارعة الطريق تضع أعمالها التي صنعتها بكلِّ حبٍّ، مزهريات الفخّار وكل قطرة عرق تقع منها تمسحها بيديها الصغيرتين فيتسخ وجهها بالطين ولكنّه لن يُخفي جمالها أبدا .إن لها جمالًا نادرًا وملامح رقيقة هادئة جًّدا، ذات عيون خضراء وبشرة بيضاء صافية بصفاء قلبها وشعرها الأشقر الحريري الذي ينسدل على عينيهَا بين الحين والآخر وهي تردّه إلى الخلف، ثم ككلِّ مرّة تصنع منه ضفيرة كلّما باءت محاولاتها في التحكّم

فيه وتكمل عملها وهي تبتسم كأنّها تمارس حلمها، تحبّ مهنتها وهي تغني بصوت رقيق جدا. إنّها رمز للهدوء، تستقبل كل زبائنها بكل فرح، أمر عليها دائما لأشتري منها أمورا لا أريدها ولكن فقط لكي تستمر.

من هذه النّاحية، الأطفال الذين يتوجّهون في صباح اليوم الباكر للمدرسة وهذا الطّفل الصغير الذي يُكمل نومه في آخر الزقاق كل يوم بعد أن اذهب إليه في هدوء وأوقضه بقطعة الشكولاطة «هيا يَا صغير، ان ذهبتَ إلى المدرسة فسأعطيك الشكولاطة كل يوم، عليك بالدّراسة لكي تصنع مكانًا لك مستقبل، العلم طريق لك لمستقبل زاهر» فينهض بكسل شديد وهو يمسح عيونه ويقول: «أريد أن أصبح صحفيا مثلك» فأرد: «ستصبح كذلك يا لطيف، اذهب وادرس بجدّ، أنت لها يا صغير»، هذه الكلمات الصّغيرة تحفيز له في كلِّ صباح. ذهب مسرعًا نحو مدرسته وتعلو وجهه ابتسامة بريئة.

تنهّدت ثمَّ نهضتُ أسير نحو المنزل وأنا أكلِّم نفسي: «لم يكن عليَّ الكذب على الطّفل صغير في كلِّ مرَّة فعندما يكبر سيلومني بشدَّة على كذبي عليه بإستمرار، سيُصدم بواقع آخر في هذا البلد الذي يُهان فيه طالب العلم ولا يرى لمجهوداته أبدا ثمرة. يدرس التّلميذ ويعمل بجدّ ومهما بلغت درجاته فهو حتما لن يحصل على ما يستحقه، سيُظلم ويرَى الجميع ينجح عداه هو، ليس لأنّه لم يدرس بجدّ أو أنَّ مجهوداتِه لا ترقى للمستوى المطلوب بل لأنّه فتى عادي وليس ابنا لفلان أو فلان، إنّه فقير ولا يملك نفوذ. هنا يُنظر للفرد على أسَاس ماله ومكانَته فقط، لن يأبه أحد بمَا وصلتَ له من علم ولن يهمّه مستواك العلميُّ

بل يهمُّه مستواك المادي فقط، حتَّى إنّك إن ذهبتَ لتَحصل على وظيفة ستُسأل :»من بعثك؟ عن طريق من أتيت؟» وتتّحدد قيمة الوظيفة التي ستشغلها والأجر الذي ستأخذه وحتَّى طريقة الاستقبال على أساس مكانة من جئت عن طريقه. أتمنّى أن يُحالفه الحظّ يومًا ولا يُصبح مثلي. رغم كلِّ شهادَاتي وتخرّجِي من المدرسَة العليَا للصّحافة إلَّا أنّني لم أجد عملا يليقُ بمستواي غير أنّني لم ولن أيأس أبدا». مؤخّرا قدّمت طلبَ عمل في شركة ما وطلبوا منِّي تجربة قدراتي فأوكلوا إليَّ مهمّة جلب خبر جديد أو مقال نادر لذا فأنا أستعد لزيارة البلدة المجاورة ولم أخبر أحدا برحلتي .

في صباح اليوم التّالي جمعت ما لديّ من أموال وملابس وسرت نحو مستقبلي، هذه الخطوة ستغيّر حياتي للأحسن أو على الأقّل لن أموت وتتعفّن جثّتي في ركن من أركان هذا البيت وفي الأخير أريد تأسيس عائلة ولن يكتمل ذلك إلّا بحصولي على عمل، هذه الخطوة ستكون أول خطوة للتغيير وسأجلب خبرًا فِي شدّة الغرابة. بعد أن أنهيت جميع أشيائِي توجّهت نحو الطّريق أنتظر الحافلة التي تأخذني للبلدة المجاورة وأنَا جالس في المحطّة لمحتُ شيخا عجوزا يجلس أمامي قال :

- أين وجهتك؟

- إلى البلدة المجاورة .

- لن تأتي الحافلة اليوم وغير ذلك نادرا ما يذهب النّاس إلى هناك فما حاجتك إليه؟

- إنّه أملِي الوحيد في تغيير حياتي للأحسن.

- آمل أن يكون كذلك رغم أنَّ هذه الإمكانية ضئيلة

الحـدوث، احـرص عـلى أن لا تتغـيّر حياتـك للأسـوء .مـادام لديـك الوقـت الآن فأنصحـك أن تعيـد النّظـر في قـرارك مـرّة اخـرى.

- إنّي أريـد أن أرى الضفّـة الأخـرى، أن أتقـدّم للأمـام وأن أحـاول وإن فشـلت لـن أنـدم يومًـا لأنّنـي حاولـت، عـلى الأقّـل لم أجلـس فِي مـكَاني ألـوم النّـاس وأتحجّـج بالظّـروف.

- يمكنـكَ طلـب المسـاعدة مـن إحـدى السّـيّارات المـارّة إلى هنـاك.

ثمّ أضاف و هو يبتسم بسخرية :

- أن وجدت من يمر إلى هناك .

لم آخـذ كلامـه عـلَى محمـل الجـدّ ومضيـتُ في طريقـي، توقّفـت عـلى حافّـة الطّريـق أنتظـر سـيّارة أو شـاحنة تنقلنـي، مـرّت ثمـان سَـاعَات وبـدأت الشّـمس تَغـرب ولم تمـرّ ولـو سـيّارة واحـدة. فجـأة تذكّـرت حديـث العجـوز، أظـن، أنّـه كان محقًّـا، نهضـتُ مـن مـكاني لأغـادر ولكنّنـي لمحـتُ سـيَّارة مـن بعيـد وأخـيرا الحمـد للـه، أوقفتـه قائـلًا:

- أ أنت ذاهب من هذا الطريق؟

- نعم .

- هل توصلني؟

- اركب .

ركبت معه وأنا أردّد:

- شـكرًا لـك، لقـد انتظـرت طويـلا، أ تعلـم؟ كـدت أفقـد الأمـل إلى أن رأيتـك. أخـبرني العجـوز أنّ لا أحـد يمـرّ إلى هنـاك هههههـه عـداي أنـا وأنـت.

لم يجِب، نظرتُ نحوه فإذا بيديه طويلتان تصلان إلى ركبتيه وحتّى شدة حرارته لم تكن طبيعية، كأنّني أجلس أمام نار ملتهبة. نظرتُ إلى رجليه كانتا تجسيدا لصورة حيوان وليسَ إنسان ولا يردّ على كلامي. كان يضع وشاحا أسود اللون يغطي وجهه فأزاحه فإذا بأذنيه طويلتان ووجهه في شدَّة البشاعة، تمنّيتُ لو أنه بقي مغطى ليقول :

- لم يبقَ الكثير على وجهتك.

صمتتُ وعمَّ الهدوء، أظنّ أنّ الطّريق كانت طويلة إلى أن وصلنا ونزلت للبلدة. كان الوقت متأخّرا مما يصعب عليّ إيجاد فندق في مثل هذا الوقت، التفتتُ لأسأله فلم أجده. بالحديث عن البلدة فإنّها لا تقلّ غرابة عمّا حصَل معي قبل قليل، صرتُ أمشي نحو الضّوء الظّاهر في آخر الطريق. كان الطّريق مظلمًا وموحشا، وسط غابة بعيدة عن النّاس ويعلو فيه عواء الذئاب ونُباح الكلاب. تعبت من المشي في حين أنّني يجب أن أصل في أقرب وقت، ارتحت قليلا لأشرب الماء ثمّ أكمل طريقي نحو البلدة .دخلت البلدة قبل منتصف الليل ولحسن حظّي وجدتُ رجلا يحمل قارورات مياه ويتّجه إلى منزله فسألته :

- عذرًا يا أخي هل لي أن أسألك؟

قال :

- تفضل .

- أبحث عن أقرب فندق من هنا.

- هذه البلدة صغيرة، لن تجد فندقا هنا ولكن يمكنك التّكلم مع صاحب المبنَى وهو بالتّأكيد سيساعدك.

ذهبت نحو المبنَى وطرقت الباب، فتح رجل ذو ملامح مخيفة قائلا :

- ماذا تريد؟

- أريد غرفة للمبيت فيها.

- تفضّل وادخل وسأجهّز لك الغرفة التي في الأعلى، يمكنك المكوث هنَا اتبعني للغرفة .

صعدنا للغرفة عبر سلالم كثيرة سألته :

- أ لم نصل بعد؟

- نحن في الطابق قبل الأخير، كم أنت متسرِّع .

- أنا تعب جدًّا.

- سترتاح بعد قليل، ها هي غرفتك وأتمنّى أن تقضي ليلة هنيئة، ليلة سعيدة وتصبح على خير .

همّ بالخروج ولكنّه عادَ مرّة أخرَى وفتَح البابَ وقال لي :

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- العمل.

- وما نوع هذا العمل؟

- استكشاف وشيء من هذا القبيل.

- من تكون؟

- صحفي.

- حظّ موفق لك في عملك أيّها الصحفي.

- شكرا.

خرج وأغلق البَاب بقوّة، بدأت أضع أشيائي وأرتّب تلك الغرفة التِي كانت مليئة بالغبار واكتفيت بإشعال الشّموع لعدم وجود الضوء .وضعتُ الفراش واستلقيت أنظر إلى السّقف وأفكر

في مـدى غرابـة هـذه البلـدة .أخرجـتُ قلمـي لـكي أدوّن بعـض الملاحظـات عـمَّا عشـته اليـوم وبعدهـا غططـتُ في نـوم عميـق إلى أن حـلَّ الصّبـاح وأشرقـت شـمس يـوم جديـد.

اسـتيقظت لأغسـل وجهـي وأتنـاول غـذائي وأخـرج لاستكشـاف البلـدة، أنهيـتُ كلَّ شيء وأخـذت قلمِـي وكـرّاس الملَاحظـات خاصّتـي ونزلـتُ السّـلالم ولكنّهـا لم تكـن بالطـول الـذي كانـت عليـه البارحـة، أظـنُّ أنَّ التّعـب أثّـر عـلى عقـلِي البارحـة. رأيـتُ عجـوزا تنظِّـف المبنـى وتحمـل الأوسـاخ منـه، تقدّمـت نحوهـا لأسـاعدها وقلـت :

- دعيني أساعدكِ يا خالة.

نظرت إليَّ نظرة امتنان وقالت :

- شـكرا لـك يـا بنـي، مـن النَّـادر وجـود شـخص طيِّـب القلـب مثلـك في هـذا الوقـت.

- إنِّي أتحـسّر عـلى حالـك يـا خالـة، أنـت تبديـن متعبـة جـدًّا، لِـمَ عليـك كلّ هـذا العمـل؟

- أنـت لا تعـرف ظـروفي يـا بنـي، إنَّ لي أطفـالا كـثر. إنّهـم أحفـادي وأمانـة ابنتـي الوحيـدة لـدي وإنِّي أعمـل عـلى توفـير كلِّ شيء لهـم مـن أجـل مصاريـف الأكل والدّراسـة وغـير ذلـك مـن احتياجاتهـم الخاصَّـة، لا أريـد أن ينقصهـم شيء أبـدا.

قلت بعد أن أكملت مساعدتي لها و خرجت:

- هوّن الله عليك يا خالة.

مـن المؤسـف رؤيـة عجـوز كهـذه بهـذا التّعـب أن تعمـل عمـلا كهـذا، إنّهـا بالـكاد تحمـل جسـدها ولكنّهـا تكافـح مـن أجـل أحفادهـا. أثنـاء تجـوّلي في أرجـاء المدينـة قابلـت فتـى يجلـس عـلى حافّـة الرّصيـف مُديـرًا ظهـره وممسـكًا بأرنـب، اقتربـتُ منـه فالتفـت

نحـوي. كان فتـى لا يتجـاوز العـاشرة مـن عمـره أسـمر البـشرة ذوعينين بنْيتـين وشـعر أسـود يـكاد يغطّـي نصـف عينيـه وأمَّـا عـن فمـه وعينيه فكانـا مليئـان بالدّمـاء، دمـاء الأرنـب الـذي كان ممسـكا بـه بعنـف وينهشـه بمنتهـى الوحشـية .نظـرت في عينيـه قبـل أن يتحـوّل لونهـما إلى الأسـود بالكامـل، انسـحبتُ مـن دون أن أُخـرج أيّ كلمـة أخـرى ورحـت أبحـث عـن أقـرب محـلٍّ للخبـز. أظـنّ أنّنـي بـدأت أتخيَّـل أمـورًا لا وجـودَ لهـا، إنِّي لا أصـدِّق مـا رأتـه عينـاي فحتّـى العيـون قـد تكـذب أحيانـا. حاولـتُ جاهـدًا إبعـاد ذلـك المنظـر عـن مخيّلتـي ولكنّـه يـأبى ذلـك، يـتردّد في عقـلي كلّ وقـت. لم أجـد مخبـزة بالرغـم مـن أنّ الوقـت لم يكـن متأخِّـرا كثـيرا إلّا أنّنـي لا أرى أشـخاصا كـثرا وتقريبًـا كلّ المحـلّات مغلقـة والجـوّ هنـا كئيـب للحـدِّ الـذي يجعلنِـي أنـدَم حتَّـى في تفكـيري يومـا للحضـور إلى هـذه البلـدة .أظـنّ أنّنـي لـن أجـد الخبـز، إذا سـأرجع إلى المبنـى الـذي أقيـم فيـه حاليـا وأتنـاول أيَّ شيء آخـر.

مهـلا هنـاك في ذلـك الزّقـاق يوجـد طفـل صغـير يبيـع الكعـك، عـلى الأقـل لـن أبقَـى جائعـا صباحـا فأنـا لم آكل شـيئًا منـذ البارحـة.

- مرحبا يا صغير.
- أوه زبون جديد أم أنّني لم أرك من قبل؟
- أنا زائر لهذه البلدة.
- زائـر؟ أَ تقصـد مثـل مـا يـأتي شـخص ليتجـوّل ويتعـرّف عـلى مـكان مـا عـن قـرب؟ ويسـمّونه اسـما غريبًـا أظـنّ أنَّـه سـائل أو صفـة كهـذه.
- سائح .
- أجل تلك الكلمة .

- لا أنا في زيارة عمل، أنا صحفِي.

رفع حاجبيه مستغربا ثم سألني:

- ما معنى هذا؟

- زيارة عمل أو كلمة صحفي؟

- كلاهما.

- الصّحفي هو الذي ينقل الأخبَار للنّاس، كأنْ يحدث شيء هنا وأخبر به النّاس في البلدة الأخرى وأما عن زيارة عمل فهي زيارة من أجل القيام بعمل ما مثلًا زيارتي إلَى هنا لأنقل خبرًا جديدًا فريدًا من نوعه أو مقالًا يصف الحال هنَا.

- فهمت، أظنّ أنّك في المكان المناسب، ستلقى كلَّ ما تريده ولن تعود خالي الوفاض وستلقى ما لم يخطر على بالك يوما .

أكملتُ فطوري وغادرتُ نحو غرفتي لآخذ قيلولة صغيرة ثم أعود لاستكشاف هذه البلدة. لن تطول زيارتي هذه فانا لا أستطيع البقاء في جوٍّ كهذا، لقد اعتدتُ على نشاط الحيِّ الذي كنت فيه. اشتقت لصوت الأطفال، للخالة وزوجها ولخبزهما السّاخن اللذيذ، اشتقت لموطني. لا أعلم لماذا يبدو الوقت طويلا بالنّسبة لي رغم أنّني لم أُنهِ يومَيَ الأوّل حتّى هنَا ولكنّي أكاد أختنق من شدَّة الملل والحزن الذي ينتشر في الأجواء. أتمنّى أن تنتهي زيارتي في اقرب وقت، عليّ إنهاء عملي بسرعة. فجأةً اعترضَ طريقِي طفل صغير وقالَ وهو يلهث من شدّة التّعب من الجري :

- هلَّا ساعدتَ صديقي، إنّه خائف جدا؟

- أين وما الذي جرى له لكي يخاف؟

- لا أعلم، إنَّه محبوس منذ ثلاثة أيَّام داخل القبو ويبكِي

طالبًا يدَ المساعدة.

- خذني إليه.

لمّا ذهبنَا كانت هناك نافذة صغيرة أسفل الممرِّ الضّيّق يطلُّ منها فتى صغير يبكِي فسألته:

- من الذِي حدث لك يا صغير؟

- أرجوك ساعدني يا عمّ، أنا لم آكل الطّعام منذ ثلاثة أيام والداي يحبسَانني هنا ولا أقدر على الخروج؟

- كن مطمئنا ولا تقلق سوفَ أساعدك .

- حاليًا ذهب والدَاي للعمل، يمكنكَ الدّخول وفتح باب القبو. على يسار البابِ الأمامي سوف تجد مفتاح باب القبو، اجلبه وتقدّم نحو الأمام، على يسار المطبخِ ستجد سلالم تقودك إلى القبو.

رحت أنفّذ أقوال الفتى إلى أن فتحت الباب ووجدته، لم يتّضح لي وجهه، قلت له:

- تعال لنخرج من هنا ونطعمك.

خرجنَا واتّجهنا نحو المطبخ ولكنّني لم أجد الطّفل الصّغير، بحثتُ عنه في أرجاء المنزل وبعد رجوعي للمطبخ وجدته. كان يشبه الفتى الذي أكل الأرنب أم أنّه هو ولم تتّضح لي باقي ملامحه في أوّل لقاء بسبب الدّم. تأكّدت من صحّة كلامي بعد أن رأيتُ عينيه، قال بنبرة بريئة :

- اجلس يا عمّ ولا تذهب وتتركني، أنا خائف.

- من والداك ولماذا وضعاك بالقبو؟

- هما لا يحبّانني ويعملون على تعذيبي ولا يتركانني ألعب مع الاطفال خارجا.

ثمّ أضاف:

- حتّى أن أمّي تسلب منّي كلّ الدّمى خاصّتي.

- لماذا؟

- لأنّها تظنّها خطيرة على فتى فِي مثل سنّي.

- ههه لا أظنّ أنَّ هناك دمى خطرة على الأطفال فهي قد صُنعت خصّيصا لهم.

- تعال معِي إلى السّطح سأُريك بعضًا من دُماي التي خبّأتها.

تبعته إلى السّطح وأخذ يُخرج الدّمى أو بالأحرى ما كان يظن أنَّها دمى، فوجئتُ بوجود حيوانات مقتولة، قلت :

- هذه ليست دمى إنّها...

قاطعني قائلا :

- انظر إلَى الأسفل.

فلمّا نظرتُ قام بدفعي من السّطح، أفقتُ على صوت الممرّضة الجميلة :

- هل أنت بخير الآن؟

- بخير، من أحضرني إلَى هنا؟

- أحضرك رجل في مثل سنّك مع زوجته، لقد رأوكَ ملقى في الخارج عند قدومهم للمشفى من أجل ولادة المرأة.

- الآن وبمَا أنّني بخير، هل يمكنني أن اشكرهم؟

أجابت بالقبول وقالت :

- لآخذك إلى هناك.

لقد كان الصّراخ عاليًا جدًّا في المشفى، بعدمَا مررنا من الطّابق الأوّل عبورًا للطّابق الثّانِي كان هناك جثث لفتيان صغار

ولكـن لا أثـر للصّـوت. صعدنـا للطّابـق الثّـاني فـإذا بـه مليئًـا بجثـث نسـاء ولا أثـر للصّـوت أيضًـا، كل طابـق لا يختلـف عـن الآخـر إلا فِي جنـس أو عمـر الأشـخاص ففـي الطّابـق الثّالـث جثـث رجـال وفي الطّابـق الرّابـع جثـث لمجموعـة فتيـات في ريعـان الشّـباب والطّابـق الخامـس جثـث فتيـان في سـنّ المراهقـة، أمّـا الطّابـق السّـادس والسّـابع فيهـما جثـث لعجائـز كبـار السّـنّ ولا أثـر للصّراخ القـادم أبـدا. يبـدأ شـعوري بالتفاقـم إلى أن وصلنـا للطّابـق الأخـير حيـث الزوجـان اللّـذان أردتُ شـكرهما وهنـا قالـت الممرضـة أنّهـم في آخـر الغرفـة، ذهبـتُ لآخـر غرفـة بالممـر فسـمعت الزّوجـان يتجَـادلان ويعلـو صراخ الـزّوج وهـو يوبِّخهـا قائـلا :

- أ تدركـين خطـورة مـا فعلتـه؟ أنـت نـذرت ابننـا للشّـيطان ومـا كان عليـك فعـل هـذا، لقـد أضعـتِ حياتـه بفعلتـك هـذه. لا نـدري كيـف سـيصبح حالـه بعـد الآن، لمـاذا يـا عزيـزتي؟ لمـاذا فعلـت هـذا؟ تعلمـين أنّنـي كنـت أحبّـك وكنّـا سـعداء ومـا كان ينقصنـا شيء غـير رضـاك.

قالت و هي تبكي :

- لكنّـك لا تـدرك معنـى أن تفقـد المـرأة شـعور الأمومـة في مجتمـع لا يرحـم، يلومونـني عـلى شيء لم أخـتره بيـدي بـل كتبـه اللـه لِي.

- لو كنتِ حقًّا تؤمنين بالله ما كنتِ فعلت فعلتك هذه.

و خرج غاضبا فوجدني واقفا أمام الباب، قال :

- ماذا تريد ؟

- كنـت أودّ شـكركم عـلى مـا فعلتمـوه مـن أجـلي، أنـا حقًّـا ممـتن...

لم أكمل حديثي حتَّى قاطعني قائلا :

- لا شكر على واجب يمكنك المغادرة.

غادرتُ المكان بسرعة نحو المنزل وعندما وصلت لم أجد أحدًا فصعدتُ لغرفتي وأخرجت دفتري لأكتب عن الجرائم الواقعة هنا والحوادث الغريبة، نمت بعدها لأُمضي آخر ليلة هنا وأغادر في الصباح. أشرقت شمس يوم جديد، نهضت من مكاني مسرعا وجمعتُ أشيائي للمغادرة وفي الطريق صادفت فتاةً شابَّة ملقاةً على الأرض تئن بصوت خافت وتطلب الماء .أخرجت قارورة الماء وساعدتها على الشّرب، تردّدتُ كثيرا وأنا في صراع مع عقلي، هل آخذها للمشفَى أم أتركها هنا؟ كان القرار صعبا عليّ فأنا لم أعد أحتمل المكوثَ في تلك البلدة أبدا. بعد تفكير طويل غلبت إنسانيتي خوفي وحملتها متّجها نحو العيادة الأقرب، أدخلتها للطّبيب لكي يفحصها وبعد قليل أتت الممرضة وهي تنظر لي نظرة شفقة وقالت :

- ما هي صلتك بمن في الداخل؟

- لم تسألين؟

- لا عليك، إن كنت لا تريد الاجابة على سؤالِي فلا تجب فقط لا تصرخ عليّ بتلك الطريقة. ادخل للطّبيب وهو سيخبرك بكلّ شيء .

بعد أن دخلت للطّبيب سألني أسئِلة كثيرة ثم قال :

- إنّ هذه الفتاة قد تعرضت لاغتصاب وتعنيف لذَا فإنّ أجوبتك ومساعدتك لنَا تساهم في إعادة الحقِّ لها.

- فليكن، أجيبك على كلّ الأسئلة.

عندما أنهيت حديثي مع الطّبيب خرجتُ لأجد كل من

في البلـدة يتكلّمـون عـن قصّـة الفتـاة فسـألت صاحـب المحـل هنـاك قائـلا :

- ما الذي حدث يا أخي؟

- يقـال أنّ فتـاة قـد اغتُصِبـت والـكلّ هنـا متّفـق عـلَى أنّهـا المُلامـة عـلَى مـا حـدث أو لِنقـل أنَّهـا تسـتحق.

- ولِمَ قد تكون مُلامة على حادث تعرضت له كهذا.

- هـذه الفتـاة معروفـة بحـبِّ شـاب سيّء منـذ مراهقتهـا وبالتّأكيـد هـو مـن فعـل بهـا هـذا وهـي تسـتحق، مـا كان عليهـا أن تحبّـه.

- أ تعـترض عـلى شيء كتبـه اللـه لهـا، صحيـح أنّهـا أخطـأت ولكـنّ هـذا لا يقلّـل مـن وحشـية مـن اغتصبهـا وفي الأخـير هـي فتـاة شـابّة والخطـأ كلّـه عـلى والداهـا لم يوجهاهـا ولم يريَاهـا طريـق الصّـواب فهـل تلومـون الضّحيـة وتنـصرون الظـالم؟ عجيـب أمركـم.

لم يُجـب الرّجـل واكتفـى بالـكلام فتنهّـدت العجـوز التـي أمامـي ثـم قالـت :

- يـا بنـي إنّـك تتكلّـم عبثـا، نحـن الآن في مجتمـع تنعـدم فيـه الأخـلاق وتُظلـم المـرأة عـلَى شيء فعلتـه كانـت أو لم تفعلـه .

غـادرت المـكان بسرعـة فـإذا بِي أجـد نفـس الفتـاة وهـي تحمـل طفـلا رضيعـا تبـكِي وتتوسّـل إليّ :

- أرجوك يا أخي أنقذ طفلِي، سوف يأخذونه منِّي بالقوّة.

- لكن كيف؟ أين سآخذه؟

- هنـاك وراء الجبـل يوجـد قـصر كبـير ضعـه هنـاك وقـل لهـم يومًـا مَـا سـتأتي نـور لتأخـذه.

فأخـذت الرّضيـع بعـد أن أصّرت الفتـاة وتوجّهـتُ نحـو القـصر،

لم يكُفَّ الرّضيع عن البكاء للحظة إلّا عندما اقتربت من القصر. كان هناك جسر يربط بين الغابة والقصر الملكيّ هناك، عبرتُ الجسرَ والرّضيع بيدي وحينما وصلتُ كاد قلبي يتوقّف من الصّدمة من هول ما رأيت. عجبا ما الذي تراه عيناي هنا؟ قصر كبير فيه مخلوقات غريبة ومخيفة، منها من يطير، منها من يغوص ومنها من له أجنحة كبيرة، حقًّا حتّى الوصف قليل فيها .أظنّ أنه لم يعد لِي عقل ولمّا دخلتُ كان الوضع هناكَ مربكا وكأنّ شيئًا ما يحدث، مضيت نحو الأمام لأدخل من باب يكسوه عشب كثير .كان كبيرا جدًّا لدرجة أنّني دخلت من الفتحة الموجودة تحته .كانت غابةً تدعى غابة الموت وفيها دنَا منّي مخلوق مخيف جدا، ضخم الحجم وبشع الوجه وأخذ الرّضيع من يدي فلم أقوى على إخراج أيّ كلمة وخرجت من القصر مسرعا، اعترضني الحارس قائلا: «من يدخل القصر من دون إذن يُسجن» فزُجَّ بي إلى السّجن وكانت هناك امرأة في الزّنزانة المقابلة، قالت وهي تسأل :

- ما جرمك؟

- ليس لي جرم سوى أنّني دخلتُ القصر.

صرت أبكي على الحال التي وصلت إليها فقالت:

- لا تحزن إنّ لك مكانا في الحكاية وستعرف ذلك مع مرور الأيّام.

يومًا بعد يوم فهمت من المرأة أنّ القانون الملكي تعرّض للعنة وبات الملك يبحَث عن طريقة لترك ابنته على قيد الحياة بعد أن حصَد أرواحا كثيرة. ذات يوم وردنا خبر أنَّ الملك يريد قطرة دم إنسيٍّ طاهر من الجرائم من أجل استعمالها لجعل ابنته تعيش فقالت المرأة :»أنت يمكنك مساعدتنا للخروج، أعلم

أنّـك لسـتَ جنّيًّـا». وافقـت فـورًا وأخـبرت الحـرس بذلـك وبعـد قليـل قابلـتُ الملـك وقلـت:

- أعطيـك دمِـي أيّهـا الملـك فأنَـا رجـل نبيـل ولم أرتكـب جرمًـا يومـا ولا أقـوى عـلى قتـل نملـة حتَّـى شرطَ أن تُخـلي سـبِيلي.

- لك ما تريد.

تـمّ الأمـر وخرجـتُ مسرعـا أمـلا في عـودتي للبيـت هـذه المـرة وعاهـدتُ نفـسي ألّا أبقـى ثانيـة هنـا. بينـما أنَـا أمـشي سـمعت صراخ رُضّـع يـأتي مـن بـئر في مـكان مهجـورة فلـمَّا ألقيـتُ نظـرة تأكّـدت أنَّ هنـاكَ ثلاثـة رُضَّـع ولكـن هـذه المـرّة لم أفعـل شـيئًا ومضيـت في حـال سـبيلي خشـية أن أقـع في مشـاكل أخـرى وذهبـتُ ثـمّ ركبـت السّـيارة مـع نفـسِ الشّـخص الـذي جـاء بِي أوّلا وفي طريقـي رأيـتُ فتـاةً تجـري وتـصرخ في البـئر صراخًـا قويًّـا.

وصلـت لمدينتـي أخـيرا، إلى بيتـي وبـين حـبّ أبنـاء حيّـي ولمّـا دخلـتُ البيـتَ أخرجـتُ قلمـي ودوّنـت مقَـالي عـن مـا حـدثَ فِي تلـكَ البلـدة ولمّـا أخذتُهـا للشّركـة صرخ المديـر في وجهـي قائـلا: «يبـدو أنّـك جننـت يـا هـذا، لا وجـود لبلـدة كهـذه في الخريطـة أم أنّ المـكان الـذي تصفـه مهجـور منـذ آلاف السـنين.» لم أصدّقـه ووضعـت مقـالي في العديـد مـن الـشّركات الأخـرى ولكـن لا جـدوى .صـار الجميـع يتّهموننـي بالجنـون، لا أحـد يصدقنـي وقـد انتهـى بِي المطـاف في مستشـفى الأمـراض العقليـة أتأمَّـل السّـطح.

مـا كنـت أظـنّ يومًـا أن تُصبـح حيـاتي هكـذا بعـد أن سـعيتُ لتحقيـق أحلامِـي فِي بلـد تُقتَـل فيـه الأحـلام.